

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

هذه السلسلة ..

عندما تتحول حياة الفرد منا إلى صحراء جرداء ..
وعندما تجف مشاعرنا وتستحيل إلى أغصان يابسة ..
يتوق قلب كل منا إلى الحبَ .. الحبّ الذى يروى هذه المشاعر .
فيعيد إلى أوراقها الخضرة .. ويبدل صحراءها إلى بساتين مزهرة ، ورياض غناء .

إنه الحب .. الحب بمعناه الرحب : حب الحبيب .. حب الابن .. حب الأب .. حب الأم .. حب الوطن .. حب البشر ..

هذه الكلمة السحرية التى تذيب أحجار القلوب .. وتنبت الزهور اليانعة فى صخور المشاعر الصلدة ..

إنها الزهور التى ينشدها كل منا فى لحظات اليأس .. وفى لحظات الغضب.. وفى لحظات الكراهية.. وفى لحظات الجفاف .. فتشيع عبيرها الفوّاح فى ثنايانا ، وتعيد الخضرة إلى قلوبنا ، والربيع إلى كهولتنا ، والأمل إلى حنايانا .

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ ـ ابنتى العزيزة ..

راقب (وجدى الغرباوى) سيارة ابنته من وراء النافذة .. وهى تجتاز البوابة الأمامية للفيلا ، قادمة من الخارج .

وما لبث أن غادر مكانه أمام النافذة ، ليستعد لاستقبالها وهو يحاول إخفاء مظاهر القلق التى ارتسمت فى عينيه .. بوجه مبتسم قائلاً :

ـ أهلاً بوردتى الجميلة .

أسرعت (ميرفت) لتقبله قائلة :

ـ أوحشتنى يا أبى !

نظر إلى ساعته .. قائلاً لها بنبرة عتاب ودية .

ـ حقًا ؟ لو كان هذا صحيحًا لما تركتنى أقلق عليك هكذا ، ولكنت قد طمأنتنى عليك باتصال هاتفى على الأقل .

ابتسمت (ميرفت) قائلة :

- إلى متى ستظل تعاملنى كما لو كنت طفلة صغيرة ؟ أبى .. لقد تخطيت سن الرشد وتخرجت فى الجامعة .. وأنت ما زلت تعاملنى كما لو كنت طفلة فى العاشرة من عمرها .

قال لها الأب فى حنان :

- ألا يحق لى أن أخاف على ابنتى الوحيدة ؟

- بلى .. ولكن ليس إلى هذا الحد .. إنك تشعرنى أحيانًا كما لو كنت مهددة بالخطف أو الموت .

سارع بوضع يده على فمها قائلاً :

- إياك أن تقولى هذا مرة أخرى .

ابتسمت الفتاة وهى تقبل يده قائلة :

- يا حبيبى يا أبى ! أتحمل لى كل هذا الحب ؟

مسح الأب بيده على شعرها قائلاً :

- أنت تعنين بالنسبة لى كل شىء يا (ميرفت) .

قالت (ميرفت) مداعبة :

- لكنى أخشى أن كل هذا التدليل سيفسدنى يا (وجدى بك) .

ضحك الأب قائلاً :

- دعك من هذا .. وهيا أرينى ما الذى اشتريته اليوم ؟

هزت (ميرفت) كتفيها قائلة :

- لم أشتر شيئًا .

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- كيف هذا ؟

مدت (ميرفت) ذراعيها أمامها قائلة :

- كما ترى .

- والنقود التى أعطيتك إياها لتشترى بها ثيابًا لنفسك ؟

فتحت حقيبتها لتخرج منها رزمة من الأوراق النقدية ، وضعتها فى جيبه قائلة :

- ها هى ذى النقود .

قال الأب مستنكرًا :

- ما معنى هـذا ؟ إننى لم أعطك إياها لتعيديها لى مرة أخرى .

هزت (ميرفت) كتفيها مرة أخرى قائلة :

- لم أجد شيئًا يستحق أن أشتريه .. لذا فلا حاجـة لى بالنقود .

- (ميرفت) .. هل هذا معقول ؟ لا يوجد فى الأسواق من الملابس شىء يستحق شراءه ؟

وضعت (ميرفت) يدها على كتف أبيها قائلة :

- إن دولابى متخم بالملابس .. ولدى كل ما أحتـاج إليه .. فما حاجتى لثياب جديدة ؟ ثم .. ثم ..

نظر إليها الأب بتساؤل قائلاً :

- ثم ماذا ؟

- ثم إلى متى سأظل أعتمد عليك فى شراء احتياجاتى ؟

إننى أريد أن أعمل .. ويكون لى أجر .. وأشترى أشيائى بنفسى ومن دخلى .

- هل ستعودين إلى هـذا الحديث مرة أخـرى ؟ مـا حـاجتك إلـى العمـل ؟ هل قصرت فـى حقك فـى شىء ؟

- هـذا ما أتحدث عنه .. إنك تلبى جميع طلباتى .. وأنا بحاجة للإحساس بقدر من الاعتماد على النفس .

- أنت ابنة (وجدى الغرباوى) .. وأنا والحمد للّه رجل ثرى .. ولدى من المال الكثير .. ما فائدته إذن .. إذا لم أكن أسعد به ابنتى .

- وما فـائدة سـنوات الدراسـة .. والتخـرج فى الجامعة ؟ إننى أريد أن أشعر بكيانى .. و ...

قاطعها الأب قائلاً :

- دعك من هـذه الكلمات الضخمة .. أنا لم أجعلك تدرسين فـى الجامعـة لتحدثينى عن الاسـتقلالية .. والشعور بكيانك .. إلى آخر تلك الكلمات .

ابنة (وجدى الغرباوى) يجب أن تكون (هانم) .. كما كانت أمها .. اللّه يرحمها .. تظل فى منزلها معززة مكرمة وتلبى جميع طلباتها .. إلى أن تتزوج وتذهب إلى منزل عريسها ، لتعيش فيه معززة مكرمة وتلبى جميع طلباتها أيضًا .. لكن أن تحدثينى عن العمل وأعباء الحياة العملية .. فأنت لم تخلقى لهذا .

ابتسمت (ميرفت) قائلة :

- لكن هذه نظرة قديمة جدًا لدور المرأة فى الحياة .. الزمن تغير يا أبى .. ولم يعد زمن الهوانم .. فالكل يعمل الآن .

- يمكنك أن تعتبرينى رجلاً رجعيًا فى هذا الشأن .. أنا أريد أن تكون ابنتى فتاة مدللة .. و(هانم) بمعنى الكلمة .

- فلتسمح لى بالعمل معك على الأقل .

قال الأب بإصرار :

- كلا .

- ولو لفترة مؤقتة .

نظر إليها مبتسمًا وهو يقول :

- لفترة مؤقتة ؟ من الممكن .. إلى أن تنتقلى إلى بيت زوجك .

ارتسمت مسحة من الحزن على وجهها وهى تقول :

- زوجى ؟

وأدارت ظهرها لأبيها الذى ارتسمت مسحة من الحزن على وجهه أيضًا وهو ينظر إلى ابنته .

لكنه أمسك بكتفيها وهو يحاول أن يغير مجرى الحديث قائلاً :

- على أية حال .. لقد أغضبتنى كثيرًا منك اليوم .

التفتت إليه (ميرفت) قائلة :

- أنا ؟

- نعم .. (أولا) رفضت أن تدعى السائق يوصلك .. (ثانيًا) تأخرت على وجعلتنى أقلق عليك ..

(ثالثًا) جعلتنى أتأخر عن موعد العشاء وأنا أتضور جوعًا.

اقتربت (ميرفت) من أبيها لتقبله فى وجنته قائلة:

ـ حسن .. هأنذا أصالحك.

قال لها الأب مداعبًا:

ـ هذه لا تكفى.

قبلته (ميرفت) فى وجنته الأخرى وهى تبتسم قائلة:

ـ هل يكفى هذا؟

ـ مؤقتًا.

ـ أنت طماع يا أبى.

ـ أنا جوعان يا ابنتى العزيزة.

ضحكت (ميرفت) قائلة:

ـ سأصعد إلى غرفتى لأبدل ثيابى .. ثم نجلس لتناول العشاء معًا ..

ـ وأنا سأشرف على إعداد المائدة بنفسى .. حتى تنتهى من تغيير ثيابك.

أسرعت (ميرفت) لترتقى درجات السلم المؤدى إلى الطابق العلوى قائلة بمرح:

ـ حالاً .. يا أبى العزيز.

لكنها ما كادت أن تصعد بضع درجات .. حتى توقفت فجأة وقد اعتراها صداع فظيع .. فصرخت وهى تمسك برأسها قائلة:

ـ آه .. أبى!

التفت إليها الأب وهو ينظر نحوها بانزعاج.

وما لبثت أن أحست بدوار شديد جعلها تهوى من فوق درجات السلم.

بينما اندفع الأب نحوها ليتلقاها بين ذراعيه، وهو يهتف قائلا:

ـ (ميرفت) .. ابنتى .. ماذا بك؟

لكنه وجد أطرافها متصلبة وقد راحت فى غيبوبة تامة.

* * *

٢ ـ صدمة القدر..

كانت ثلاث ساعات قد مرت منذ أن انتقل (وجدى الغرباوى) مع ابنته إلى المستشفى، وهى مازالت تحت تأثير الغيبوبة. وغلبه النعاس وهو جالس خارج حجرة الكشف حيث طلب منه الأطباء الانتظار بالخارج، ريثما ينتهون من توقيع الكشف على (ميرفت).. وذلك باستخدام الأجهزة والمعدات الطبية.

غفا (وجدى) للحظات قليلة فى أثناء جلوسه على المقعد المواجه لحجرة الكشف.. ثم تنبه فجأة على صوت باب الحجرة وهو يفتح فأسرع إلى مجموعة الأطباء الذين غادروها وعيناه تتعلقان بالأمل.

كان الدكتور (منير) هو الطبيب الذى يرأس هذا الفريق (الكونصلتو) من الأطباء، فى أثناء توقيع الكشف على ابنته.. كما أنه الطبيب المختص بمتابعة حالتها منذ عامين عندما داهمتها النوبة الأولى من نوبات المرض.

لذا فقد اتجه إليه مباشرة وهو يسأله بمزيج من الخوف والرجاء قائلاً:

ـ خير يا دكتور؟

نظر إليه الطبيب مترددًا للحظة.. ثم ما لبث أن قال له:

ـ هل تسمح بأن تأتى معى إلى مكتبى؟

صحبه (وجدى) إلى حجرته.. لكنه لم يستطع أن ينتظر حتى يصلا إليها للاطمئنان على ابنته.

فقد سأله بلهفة قائلاً:

ـ أرجوك يا دكتور (منير) طمئنى على ابنتى.

ظل الدكتور (منير) لائذًا بالصمت دون أن يجيبه بشىء.

بينما استطرد (وجدى) قائلاً:

ـ هل هو نفس المرض الذى سبب لها هذه الحالة؟

أجابه الدكتور (منير) هذه المرة وهو يفتح باب حجرته قائلاً:

ـ نعم .

ظلت نظرات (وجدى) متعلقة بالدكتور (منير) وكأنه يحاول أن يستشف من عينيه الحقيقة .. قائلاً :

ـ لقد ظننت أننا فى طريقنا للتخلص منه نهائيًا .. خاصة بعد أن اختفت نوبات المرض منذ خمسة أشهر تقريبًا .. ولم تعد تظهر عليها أية أعراض مرضية .

نظر إليه الدكتور (منير) فى حيرة .. وهو يقول :

ـ هذا ما ظننته أنا الآخر .. خاصة أننى كنت أتابع الحالة منذ بدايتها .. وقد وجدت استجابة طبية للعلاج .. طوال الأشهر الماضية .

سأله (وجدى) وقد ازدادت مظاهر القلق فى عينيه :

ـ هل الحالة سيئة إلى هذا الحد ؟

أجابه الدكتور (منير) بسؤال بدلاً من أن يقدم له إجابة قائلاً :

ـ هل كانت تواظب على أخذ الدواء فى الفترة الأخيرة ؟

ـ نعم .. لقد كنت أشرف على ذلك بنفسى .. كما أننى كنت أصحبها بنفسى مرة كل أسبوعين كما أمرت إلى المستشفى لإجراء التحاليل المطلوبة .

أشار له الدكتور (وجدى) بالجلوس وهو يجلس إلى مكتبه ، وملامح الأسى مرتسمة على وجهه .

بينما صاح (وجدى) قائلاً :

ـ قل لى .. ما هى حالة ابنتى يا دكتور ؟

نظر إليه الدكتور (منير) دون أن يتمكن من إخفاء مظاهر الأسى التى ارتسمت على وجهه قائلاً :

ـ مع الأسف .. حالتها متدهورة للغاية .

حدق (وجدى) فى وجهه بعينين مضطربتين قائلاً :

ـ ماذا يعنى هذا ؟

قال له الدكتور (منير) بعد لحظة من التردد :

ـ لقد وصلت إلى المرحلة الأكثر خطورة من المرض .

قال له (وجدى) مذهولاً :

- ولكن .. لم يكن هناك ما ينبئ عن ذلك .. لقد قدمنا لها كل العلاج اللازم .. وفعلنا كل ما طلبته .. كل الرعاية النفسية والصحية .. اتبعت معها كل التعليمات التى طلبتها .. وظننت أنها تتماثل للشفاء .

وعلا صوته وهو يستطرد قائلاً :

- تأتى الآن وتقول لى إن حالتها قد تدهورت .. وأنها وصلت إلى مرحلة خطيرة من المرض ؟!

ما الذى كان مطلوبًا منى أن أفعله أكثر من ذلك ؟ لقد عرضت عليك أن نعالجها فى الخارج .. وأن نحضر لها أكبر المتخصصين .. ولكنك ..

قاطعه الدكتور (منير) بهدوء قائلاً :

- (وجدى بك) .. لقد فعلت كل ما هو مطلوب منك .. وكذلك فعلت أنا الآخر وكل زملائى الأطباء الذين تابعوا حالتها .

لكن هناك أمورًا لا نملك حيالها شيئًا .. لأنها ليست بيدنا ولكن بيد الله سبحانه وتعالى .

ومهما بلغت الرعاية الصحية أو الطبية التى قدمناها لها ، فهى لن تحقق شيئًا إزاء المرحلة التى تطور إليها هذا المرض .

قال له (وجدى) وهو يضغط بأصابعه على حافة المكتب :

- مازلت مستعدًا لعمل أى شىء تطلبه منى فى سبيل مساعدة ابنتى للتغلب على هذا المرض .. إننى مستعد لإنفاق كل قرش أمتلكه فى سبيل ...

قاطعه الدكتور (منير) قائلاً :

- مع الأسف لم يعد هناك أى علاج مجد الآن .. سوى العلاج الذى يساعد على تخفيف آلام مرضها .. وما عدا ذلك فليست هناك أية وسيلة أخرى .

حدق (وجدى) فى وجهه قائلاً :

- ماذا تعنى بذلك ؟

أطرق الدكتور (منير) بوجهه إلى الأرض للحظة .. وكأنه يحاول أن يستجمع شجاعته .. ثم نظر إليه قائلاً :

ـ سأكون صريحًا معك .. إن الكشف الذى وقعناه على ابنتك اليوم قد .. أوضح .. لنا .. أن ابنتك لن تعيش أكثر من سنة .

ازدادت عيناه جحوظًا وهو يسأله قائلاً :

ـ ماذا تقول ؟

ـ ليس من السهل على أن أقول لك ذلك .. لكنى لا أستطيع أن أخدعك برغم قسوة ما أخبرك به .. ولكى تكون مستعدًا لمواجهة الأمر وللتعاون معى .. فى جعل الأشهر المتبقية من عمرها بلا عذاب ولا ألم .

تهالك (وجدى) فوق المقعد وقد دفن وجهه بين راحتيه .

ثم ما لبث أن انخرط فى بكاء حار .. قائلاً :

ـ كلا .. هذا ظلم .. هذا ظلم .. لماذا يحدث هذا لابنتى الوحيدة ؟

لماذا هى بالذات ؟

ـ (وجدى بك) .. لا تكفر .. إنها مشيئة اللَّه ..

قال له (وجدى) منتحبًا :

ـ وما الذى فعلته ابنتى المسكينة ليحكم اللَّه عليها بالموت ؟

نهض الدكتور (منير) ليضع يده على كتفه قائلاً :

ـ أرجوك .. لاتردد هذا الكلام .. أنا أعرف أنك رجل مؤمن فلاتدع الشيطان يدفعك إلى قول ما يغضب اللَّه ..

ظل (وجدى) يبكى وهو يردد قائلاً :

ـ أستغفر اللَّه .. أستغفر اللَّه .

ـ ومن يدرى ؟ عليك أن تتعلق بالأمل فى رحمة اللَّه .. فربما ..

وفى تلك اللحظة دخل إلى الحجرة طبيب شاب فى الأربعينات من العمر .. حيث رأى (وجدى) وهو على هذه الحالة ، بينما الدكتور (منير) يبذل أقصى ما لديه لتخفيف آثار الصدمة على الرجل .

راقب الطبيب الشاب (وجدى) يغادر الحجرة وهو يجر قدميه ، وقد بدا كما لو كان أضيف إلى عمره عشرون عامًا أخرى .

وما إن انصرف حتى تحول إلى الدكتور (منير) قائلاً :

- إنه والد الفتاة .. أليس كذلك ؟

- بلى .

قال له بحزن :

- مسكين .. إنها صدمة كبيرة بلا شك .

- خاصة وأن الرجل يحب ابنته بشكل غير عادى ، وكان يأمل أن تكون قد أفلتت من المضاعفات الخطيرة لهذا المرض .

- أتظن أنه لا يوجد أدنى أمل فى شفائها ؟

تنهد الدكتور (منير) قائلاً :

- الأمل فى رحمة الله موجود دائمًا يا دكتور (صلاح) .. لكنك تابعت معى حالتها بنفسك .. ورأيت بنفسك الحالة التى وصل إليها المخ .

إن الورم يتضاعف .. وقد عاد إلى المعدل الذى كان

يزيد به من قبل .. وطبقًا لهذا المعدل فإن ما تبقى لها من العمر يتراوح ما بين عشرة أشهر وسنة كاملة .

- لكنها كانت تستجيب للعلاج .. وكان من الواضح أن معدل نمو الورم قد توقف تمامًا عند حد معين .

- نعم .. وكان يحدونى الأمل أنه إذا كان العلاج قد نجح فى التأثير على معدل نمو الورم وتثبيته عند حد معين .. فإن المرحلة الثانية من العلاج ستؤدى إلى ضموره تدريجيًا .. إلى الحد الذى يحول دون تهديد المخ بالخطر .

لكن كما رأيت يبدو أن العلاج قد فقد تأثيره ، ولم يعد يجدى ، وعاد الورم إلى معدل نموه السابق .

- هل يعنى هذا أنك ستوقف هذا العلاج ؟

- وفقًا لخبرتى الطبية السابقة فلا أرى أى فائدة أو تأثير له الآن .. لكنى سأجرب شهرًا أو شهرين آخرين ربما تحدث معجزة .

- وإذا لم تستجب ؟

- سأوقف العلاج بالطبع .. فأنت تعرف أن العلاج الكيميائى بوجه خاص يسبب آلامًا مبرحة للمريض .. فإذا لم يكن له تأثير .. فلاداعى لتعذيبها بدون فائدة ..

إنها بحاجة إلى ما يخفف آلام هذا الورم .. نتيجة ضغطه على هذا الجزء الحساس من المخ .. وليس إلى ما يزيد من آلامها .

- وماذا عن التدخل الجراحى ؟

- دكتور (صلاح) .. أنت طبيب وجراح له خبرته .. ولابد أنك تعرف أن التدخل الجراحى فى هذا الجزء الحساس من المخ هو ضرب من المستحيل .. وقد يعجل بموتها .

تنهد الدكتور (صلاح) بأسى قائلاً :

- نعم معك حق .

- إننا أمام حالة محكوم عليها بالموت .

نظر الدكتور (صلاح) إلى ساعته قائلاً وهو يتجه نحو باب الحجرة :

- أظن أنها قد استردت وعيها الآن .

- نعم .. إلى أين تذهب ؟

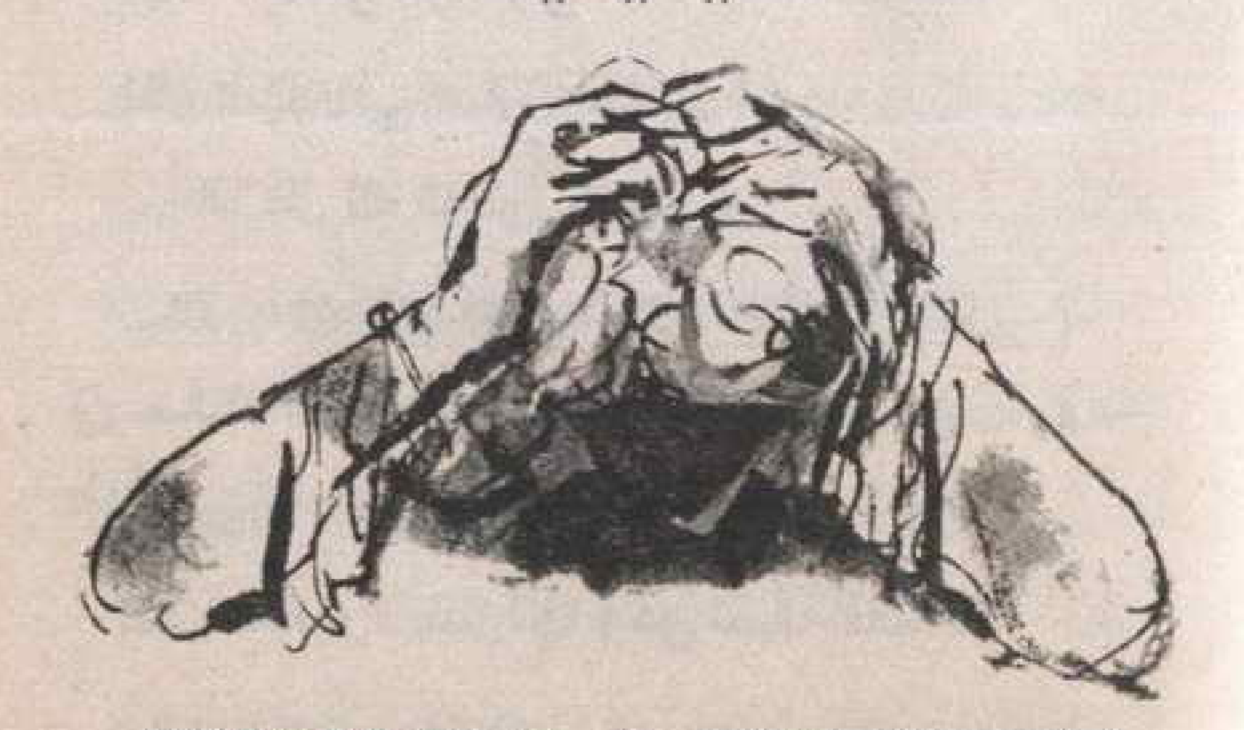
- سأذهب إليها .. إنها بحاجة لبعض الكلمات المشجعة الآن .

- لكن لاتخبرها بشىء عن الحالة التى وصل إليها مرضها .. لقد اتفقت مع أبيها ومع بقية الزملاء على ذلك .

قال الدكتور (صلاح) وهو يفتح باب الحجرة :

- بالطبع .. بالطبع .

* * *



٣ ـ ارحم ابنتى ..

نظرت (ميرفت) إلى أبيها الذى لم ينجح فى إخفاء مظاهر الحزن التى انطبعت على وجهه ، منذ عودتهما من المستشفى وقد اعتراها إحساس بالقلق .

فاقتربت منه قائلة :

ـ أبى .. ماذا بك ؟

تطلع إليها الأب قائلاً :

ـ لا .. لاشىء يا بنيتى .

نظرت إليه فى تساؤل قائلة :

ـ ماذا قال لك الدكتور (منير) ؟

ـ لقد .. لقد أخبرتك بما قاله الدكتور (منير) .. إن حالتك المرضية فى طريقها للتحسن .. وقد طمأننى بأنك تستجيبين للعلاج بصورة طيبة .

ظلت تحاصره بنظراتها وهى تسأله قائلة :

ـ أبى .. أرجوك لاتخف عنى شيئاً .

قال لها وهو يحاول تجنب نظراتها :

ـ أى شىء هذا الذى أخفيه عنك يا (ميرفت) ؟ لقد صارحتك بكل شىء ..

ـ هل أنت واثق من ذلك ؟

قال لها بحنان :

ـ وهل كذب عليك أبوك من قبل ؟

ـ إذن .. لماذا تبدو حزيناً هكذا منذ عودتنا من المستشفى ؟

حاول أن يرسم ابتسامة باهتة على وجهه وهو يقول :

ـ أنت تعرفين أننى شديد الحساسية تجاه أى شىء تتعرضين له .. حتى لو كان شيئاً بسيطاً .

ـ وما معنى ما حدث لى ؟ هذا الصداع الفظيع .. ونوبة الإغماء التى تعرضت لها ؟

لقد ظننت أن كـل هذا قد انتهى .. لكن الصداع الـذى أحسست بـه قبل أن أغيب عن الوعى كـان أفظع من المرات السابقة ..

احتواها الأب بين ذراعيه وهو يقبـل رأسـها ، ويحاول إخفاء العبرات التى ترقرقت فى عينيه حتـى لاتراها .. قائلاً :

ـ يا حبيبتى يا بنيتى .

وصدرت برغمه تنهيدة قصيرة وهـو يسـتطرد قائلاً :

ـ لاتقلقى بهذا الشأن .. فـبرغم ذلـك .. فإن الأمـور تتطور إلى الأحسن .

وقد أخبرنى الدكتور (منيـر) .. أن ما حدث يعد من الأطوار الطبيعية لحالتك المرضية .. المهم أنك ستتماثلين للشفاء خلال فترة قصيرة .

نظرت إليه قائلة :

ـ هذا ما قاله لى الدكتور (صلاح) أيضًا .. ولكـن هل تصدق أنت ذلك يا أبى ؟

ابتسم لها قائلاً :

ـ ولم لا أصدقه .. إن الدكتور (منير) رجل محـل ثقة سواء فى مجال عمله كطبيب .. أو فيمـا يقولـه كصديق شخصى عرفناه سنوات طويلة .

وكذلك الدكتور (صلاح) .. وهما يؤكدان أنك فـى طريقك للخلاص من هذا المرض اللعين .

قالت (ميرفت) وهى فى حيرة من أمرها :

ـ إننى لا أدرى .. كيف أن حالتى تتطور إلى الأحسـن .. بينما أعراض المرض تتطور إلى الأسوأ ؟

قال لها وهو يحـاول تجنب الخوض فى المزيد من هذا الأمر :

ـ هذه أمور طبية .. يفهمها الأطباء والمتخصصون .. ولانفهمها نحن يا (ميرفت) .

فلتتحملى يا بنيتى بعض الشىء مادام المرض فى طريقه إلى الزوال .

سألته بانزعاج قائلة :

- هل يعنى هذا أننى سأتعرض لهذا الصداع الفظيع .. ونوبات الإغماء مرة أخرى ؟

عجز عن أن يقول شيئًا .. وقد أحس بقلبه يتمزق من الداخل . لكنه حاول التغلب على عجزه قائلاً :

- فى الحقيقة .. أنا .. إننى ..

وأنقذه من مرارة هذا الموقف العصيب حضور الخادمة .. لتخبره بأن الدكتور (صلاح) قد حضر .. فطلب منها أن تدخله سريعًا .

ابتسم الدكتور (صلاح) وهو يدخل عليهما قائلاً :

- مساء الخير .

أسرع الأب لمصافحته قائلاً :

- أهلاً .. مساء الخير يا دكتور (صلاح) .. تفضل .

- أرجو ألا أكون قد جئت فى وقت غير مناسب .

- أبدًا .. أبدًا .. تشرف فى أى وقت يا دكتور (صلاح) .

اقترب ليصافحها قائلاً :

- مساء الخير يا آنسة (ميرفت) .

- أهلاً دكتور (صلاح) .

ظل ينظر إليها لبرهة وقد آلمه أن فتاة مثلها تحظى بكل هذا القدر من الجمال ، لم يعد متبقيًا لها من العمر سوى بضعة أشهر قليلة .

- قال أخيرًا :

- لقد جئت لأطمئن عليك .. ولأخبرك بأننى سأتابع حالتك وأكون الطبيب المسئول عنك طوال فترة سفر الدكتور (منير) فى الخارج .

- قل لى يا دكتور (صلاح) .. هل سأشفى حقًّا من مرضى هذا ؟

- لقد أخبرتك بذلك من قبل .. نعم .. إنك ستشفين بمشيئة الله .

- قل لها هذا يا دكتور (صلاح) .. لأنها تأبى أن تصدقنى .

- ومتى يتحقق ذلك ؟

- فى الحقيقة لا أستطيع أن أحدد لك موعدًا لهذا .. لكن ربما خلال عام أو اثنين على الأكثر ستكون حالتك أفضل بكثير .

صاحت قائلة :

- عام أو اثنين ! هل سأظل تحت رحمة هذا المرض عامًا أو عامين قادمين ؟

نظر إليها (صلاح) بإشفاق .. وهو يقول لنفسه :

- إنك لا تعرفين أن كل الظواهر تؤكد أنك لن تتجاوزى العام بأى حال من الأحوال .. لكنك سترتاحين فى النهاية ولن تكونى بحاجة إلى المزيد من الانتظار .

قال لها وهو يتظاهر بالمرح .

- لم أكن أدرى أنك قليلة الصبر هكذا .. على أية حال .. عام أو اثنان ليسا فترة طويلة لكى تنزعجى إلى هذا الحد .

لقد ظننت أنك ستفرحين عندما تعلمين أنك فى طريقك إلى الشفاء .

- لكن الألم الذى أحسست به فى رأسى هذه المرة كان أقسى من المرات السابقة .

ربت (صلاح) على يدها قائلاً :

- وسيكون الألم أشد قسوة فى المرات القادمة .. كل المطلوب منك أن تتحملى معنا قليلاً حتى ينتهى الأمر .

لم يستطع الأب أن يتحمل أكثر من ذلك ، فأسرع بمغادرة الحجرة ليطلق العنان لعبراته بعيدًا عنها .

بينما قالت (ميرفت) وفى عينيها نظرة خوف :

- هل سأعود إلى العلاج الكيميائى مرة أخرى ؟

- ليس الآن .. ولكن ربما احتجنا لمعاودة هذا العلاج ولفترة من الوقت .

- لكن العلاج بهذه الطريقة يكون أقسى من آلام المرض .

نظل إليها (صلاح) بعطف قائلاً :

- ألا تريدين أن تتخلصى من هذا المرض تمامًا ؟

- بالطبع .

- إذن .. لا مفر من ذلك .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

- والآن .. هل تسمحين لى بالقيام بكشف بسيط عليك ؟

لقد فضلت أن آتى بنفسى حتى أوفر عليك عناء الذهاب إلى المستشفى .

لكن فيما بعد سيتعين عليك أن تزورينى مرة كل أسبوع فى المستشفى بصفة مبدئية .

* * *

دخل (وجدى) منفعلا على الدكتور (منير) والدكتور (صلاح) وهما يراجعان أحد التقارير الطبية .

حيث قال للدكتور (منير) ثائرًا :

- إننى أريد أن أعرف .. هل هناك جدوى من عملية التعذيب التى تتبعونها مع ابنتى كل أسبوع ؟

قال له الدكتور (منير) وقد بدا مقدرًا لهذه الثورة التى يبدو عليها الأب :

- إهدأ يا (وجدى بك) .. إننى ..

لكن (وجدى) ظل على نفس الدرجة من الانفعال وهو يقول له :

- كيف تطالبنى بالهدوء وقد رأيت بنفسك الحالة التى كانت عليها ابنتى بعد العلاج الكيميائى الذى استخدمتوه معها بالمستشفى أمس ؟

لقد ظلت طوال الليل تعانى .. إن هذا النوع من العلاج يعرضها لآلام فظيعة .. فضلاً عن القىء وحالات الإغماء المتكررة .

وضع الدكتور (صلاح) يده على كتف الأب قائلاً :

- أعرف أنه علاج قاس .. ولكن ..

تحول (وجدى) إليه قائلاً :

- ولكن .. ماذا ؟ هل سيكون وراءه فائدة حقيقية ؟ هل سينقذ ابنتى من الموت .

إذا كان سيحقق ذلك .. فإننى مستعد لتحمل قسوة الشعور الذى أشعره كأب ، وأنا أرى ابنتى تتعذب على هذا النحو .

أما إذا لم يكن من ورائه فائدة .. فلماذا نعذبها ؟

أرجوك يا دكتور (صلاح) أخبرنى :

خفض (صلاح) بصره إلى الأرض وهو لا يدرى بِمَ يجيبه .

بينما تحدث الدكتور (منير) قائلاً :

- فى الحقيقة .. أنا الذى اقترحت أن تستمر فى العلاج الكيميائى .. كان لدى أمل ..

لكن .. أظن أنه يتعين علينا أن نتوقف الآن .. فلا داعى لتعذيبها كما قلت .

أغمض الأب عينيه قائلاً :

- إذن .. فلا أمل .

اقترب منه الدكتور (منير) قائلاً :

- قلت لك من قبل إنه يتعين علينا ألا نفقد الأمل فى رحمة اللّٰه .

قال (وجدى) وهو يحدق فى جدار الحجرة بنظرة شاردة :

- علينا أن نتعاون جميعًا فى أن تنعم بالشهور المتبقية من عمرها القصير .

أرجوك يا دكتور لابد من استبدال هذا العلاج .. لا أريد لها أن تتألم .. ومن ناحيتى فسأبذل أقصى ما أستطيع لكى أحقق لها كل ما تتمناه قبل أن ترحل عن هذه الدنيا .

* * *



٤ـ الحلم الوردى ..

اعتدلت (ميرفت) فى فراشها وهى تسند ظهرها إلى الوسادة ، وقد بدت معالم الشحوب فى وجهها .. وهى تتأمل صورة (رامى) .. خطيبها السابق .

الشاب الوحيد الذى عرفت معه معنى الحب .. وتمنت أن تكون زوجته .. قبل أن يتركها ويرحل .. ليموت برحيله حلمها الوردى الذى لم يقدر له أن يعيش طويلاً .

لكن إذا كان حلمها بالزواج من (رامى) لم يكتب له أن يتحقق ، فإن حبها له لم يمت بموت الحلم الجميل .

فمازال (رامى) هو الشاب الوحيد الذى جسد لها كل المعانى الرائعة التى لم تعرفها إلا معه . وكل تلك المشاعر الجميلة التى لم تعرفها من قبل .. ووجدتها فى حبها لرامى .

لقد تعرفت إليه قبل أن تتخرج فى كليتها بعامين .. وكان يسبقها فى الدراسة بعام واحد .

وكان الكثيرون يسعون لخطب ودها .. لكن قلبها لم يتفتح إلا له .. برغم أنه لم يحاول أن يظهر لها أية عاطفة كتلك التى تبارى الآخرون فى إظهارها طمعًا فى ثرائها وجمالها .

لقد جمعت بينهما صداقة الدراسة .. لكنها أحست منذ الوهلة الأولى أنها تحمل له فى نفسها ما هو أكثر من ذلك .

وأن قلبها قد اختاره وحده ليكون حبها الوحيد .

وكما حصلت على كل شىء تمنته من قبل .. كادت أن تحصل على سعادتها كلها بالزواج منه .

وبرغم رفض أبيها له فى البداية .. إلا أنها ألحت عليه لكى يوافق على ارتباطها به .. ولم يكن أبوها ليرفض لها طلبًا خاصة وقد أدرك بأبوته الحنون أنها تحبه بكل جارحة فى نفسها . لكن الأمر توقف عند الخطبة .

وسرعان ما أدركت الحقيقة القاسية .. إن (رامى) لا يبادلها حبها الكبير وإن مشاعره لم تكن خالصة لها .

لم يكن مقدرًا لهـا أن تقطـع مزيـدًا من الخطوات فـى طريقهـا إلـى السعـادة فتبدد حلمهـا .. وتجمدت سعادتها بانتهاء الخطبة ورحيل (رامى) .

لتعرف بعدها أشهرًا طويلة من الحزن والشقاء .

لقد حاولت كثيرًا أن تنساه .. لكنها لم تستطع .

حتى فى أحلك لحظات حياتهـا .. وهى تواجه هـذا المرض اللعين بكل آلامـه ومتاعبـه .. كانت صـورة (رامى) ماثلة أمامها .. وحنينها إليه كامنًا فى قلبها .

سمعت طرقـات علـى البـاب .. فأسرعت بإخفـاء الصورة أسفل الوسادة .

لكن أباهـا كـان قـد دخـل عليهـا الحجرة قبـل أن تتمكن من إخفائها بطريقة جيدة .. فظل جزء من إطـار الصورة بـارزًا مـن أسـفل الوسـادة .. ولاحـظ الأب ذلك .. لكنه تظاهر بأنه لم يلحظ شيئًا .

وابتسم وهو يقترب منها قائلاً :

ـ مسـاء الخيـر يا حبيبتى .. هأنتذى قـد استيقظت أخيرًا .

قالت له وهى تحاول أن تدارى ارتباكها :

ـ يبدو أننى قد استغرقت فى النوم لساعات طويلة .

قال وهو يتناول يديها الرقيقتين بين راحتيه .

ـ نوم العافية ..

نظرت إليه قائلة :

ـ هل هو نوم العافية حقًا ؟ أم نوم المرض ؟

ـ ماذا تعنين ؟

ـ ألا ترى أننى قـد أصبحت أستغرق ساعات طويلة فى النوم خلال هذه الأيام ؟

ضحك قائلاً وهو يجلس بجوارها :

ـ إننى أحسدك علـى هذا .. فهو أفضل بالطبع من الأرق الذى أعانيه طوال الليل .

- لابد أننى سبب هذا الأرق .. آسفة يا أبى إذا كنت قد تسببت لك فى ذلك .

- أنت ؟ وما شأنك أنت بذلك ؛ إنها متاعب العمل .. وعلى أية حال لست الوحيد الذى يعانى الأرق .. الكثيرون على هذا الحال .

واجهته بنظراتها قائلة :

- لن تستطيع أن تكذب على يا أبى .. إننى أعرف أنه مرضى هو الذى يحرمك من النوم .. ويثقل على مشاعرك وتفكيرك .

- أؤكد لك أن هذا غير صحيح .. لم يعد هناك مايشغلنى بشأن هذا المرض .. مادمت فى طريقك إلى الشفاء .

- أتمنى أن يكون ماتقوله صحيحًا ؟

- لست أنا الذى أقول ذلك .. ألم تسمعى بنفسك ماقاله الدكتور (منير) والدكتور (صلاح) ؟

- وتلك الأدوية التى آخذها والتى تزايد عددها ؟

- إنها على أية حال أفضل من العلاج الكيميائى المؤلم .. الذى كنت تعالجين به من قبل .

- لكن معظم هذه الأدوية تحتوى على مهدئات ، وتجعلنى أستغرق فى النوم لساعات طويلة .

قال لها الأب بجدية .

- لكنها ضرورية لك يا (ميرفت) .. ولابد من تناولها .

- لكنها تجعلنى فى حالة من الضعف والغياب عن الوعى معظم الوقت .

- إن هذا الضعف الذى تتحدثين عنه بسبب عدم إقبالك على الطعام .. على النحو الذى كنت عليه من قبل .. إن ضعف جسدك بسبب ضعف شهيتك .

- وبسبب الخمول الذى أعانيه من جراء تناول هذه الأدوية .. ثم إننى لا أشعر بأى رغبة حقيقية فى الأكل .

- لابد ألا تستسلمى لهذا الشهور .. إنك بحاجة إلى أن تأكلى جيدًا .. ثم هذه الأدوية الفاتحة للشهية ..

قاطعته بعصبية قائلة :

ـ لاتفعل شيئًا يا أبى .. لاتفعل شيئًا .. ليست لدى رغبة فى الأكل .. ولا فى هذه الساعات الطويلة من النوم ، ولا فى هذه الساعات المملة الكئيبة التى أحياها هنا بعد يقظتى . لم أعد أشعر برغبة فى أى شىء .

ليس لدى سوى إحساس ثقيل بالحزن والملل .. ولا أدرى .. كيف الخلاص من هذا الإحساس الثقيل الذى استولى على ؟

لا أدرى سوى أن أيامى أصبحت بلا معنى .. وحياتى أصبحت بلا هدف .

نظر الأب إلى وجه ابنته الشاحب بأسى قائلاً :

ـ أرجوك يابنيتى .. لاتستسلمى لهذا الإحساس .. إنها مجرد حالة نفسية طارئة .. وستزول .

هزت رأسها قائلة :

ـ كلا يا أبى .. أشعر أن الأمر أكبر من ذلك .

وضع يده أسفل ذقنها قائلاً :

ـ أيمكن أن أطلب من وردتى الجميلة أن تذهب لتغسل وجهها .. وتتناول معى وجبة بسيطة .. دون أن تتطرق لهذا الأمر الآن ؟

ساعدها على النهوض من الفراش .. ثم انتظر حتى دخلت إلى الحمام .. وقام بإخراج الصورة من أسفل الوسادة .

أطلق زفرة قصيرة وهو يتأمل الصورة قائلاً :

ـ إذن .. فمازلت تحبينه .

* * *

دخلت السكرتيرة حجرة (وجدى الغرباوى) فى الشركة الكبيرة التى يمتلكها ضمن ثلاث شركات أخرى .

حيث كان جالسًا أمام مكتبه يراجع بعض الملفات .

ولم ينتبه لها وهى تخبره بحضور أحد الأشخاص .. فرفع عينيه عن الملفات وهو يسألها قائلاً :

ـ من ؟

أجابته قائلة :

ـ (رامى عبد الرحمن) .. إنه يطلب مقابلتك .

بدا الاهتمام عليه لدى سماعه الاسم .. فنحى الملفات جانبًا وهو يقول لها :

ـ آه .. دعيه يدخل .

لكنه استوقفها قبل أن تغادر الحجرة قائلاً :

ـ كلا .. دعيه ينتظر قليلاً .. عشر دقائق .. قولى له أى شىء .. مشغول .. أتحدث فى الهاتف .. ثم أدخليه بعد ذلك .

ـ أمرك يا فندم ..

اسند (وجدى) ذقنه إلى قبضته قائلاً :

ـ كنت أظن أننى قد تخلصت منك نهائيًا .. لكن ها هى ذى الأيام تضطرنى لمقابلتك ثانية .. بل .. و ..

ثم أطلق زفرة قصيرة قائلاً :

ـ لاجدوى من ذلك الآن .

وبعد قليل دخل (رامى) إلى الحجرة بقوامه الفارغ ووجهه الوسيم ونظراته المتحدية .

حيث نهض (وجدى) متثاقلاً لاستقباله ومصافحته .

* * *



٥ ـ المفاجأة ..

قال (رامى) :

ـ صباح الخير يا (وجدى بك) .

رسم (وجدى) ابتسامة زائفة على وجهه وهو يصافحه قائلاً :

ـ صباح الخير يا (رامى) .. تفضل .

ودعاه إلى الجلوس .. حيث سأله (رامى) :

ـ لقد أبلغونى أنك اتصلت بى .. وطلبت أن آتى لمقابلتك .

ـ ماذا تشرب أولاً ؟

ـ أشكرك .. لاداعى لذلك .. أريد أن أعرف سبب رغبتك فى مقابلتى .

ـ ألا تسألنى أولاً عن (ميرفت) ؟

ـ بل .. أريد أن أسأل . كيف عرفت أننى عدت إلى القاهرة ؟

ـ ليست لدى مشكلة بهذا الشأن .. إذا أردت أن أعرف شيئًا .. فإننى أستطيع أن أعرفه بسهولة .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ لدى مصادر عديدة لجمع المعلومات .

ـ وهل كنت تجمع المعلومات عنى ؟

ـ لدى كل أخبارك .. منذ أن سافرت إلى السعودية .. وحتى عودتك إلى القاهرة منذ عشرة أيام .

فقال (رامى) متهكمًا :

ـ لم أكن أعرف أننى مهم لديك إلى هذا الحد .

قال (وجدى) بجفاء :

ـ أنت تعرف أنك لا تعنى بالنسبة لى الكثير .

ـ إذن .. لم هذا الاهتمام المفاجئ ؟

ـ لماذا عدت من السعودية ؟

ـ لقد .. عدت .. لأننى .. لأننى حصلت على إجازة .

ـ كذب .. قلت لك إننى أعرف كل شىء عنك ..

فلاتحاول أن تكذب على .. لقد استغنوا عن خدماتك فى الوظيفة التى التحقت بها هناك .. ولم يجددوا لك العقد .

قال (رامى) بضيق :

ـ (وجدى بك) .. ماذا تريد منى ؟ وما الذى يعنيك إذا كنت مازلت أعمل فى السعودية أم أنهوا عقدى ؟ أظن أن ما بيننا قد انتهى ولم يعد أمرى يهمك فى شىء .

لكنه لم يأبه لم قاله .. بل استمر فى حديثه قائلاً :

ـ ما المبلغ الذى استطعت أن تدخره خلال العام الذى قضيته هناك ؟

ألف .. ألفان .. ثلاثة ؟ لابد أنه مبلغ تافه لن يفيدك فى شىء .

نظر إليه (رامى) باستغراب قائلاً :

ـ هذا شأنى أيضًا .

ـ هل ستعود مرة أخرى للبحث عن وظيفة هنا ؟ وإذا حصلت على وظيفة .. ما هو فى تقديرك الراتب الذى ستحصل عليه ؟

قال له (رامى) بنفاد صبر .

ـ هل جئت بى إلى هنا لتسخر من ظروفى ؟

ـ بل .. لأساعدك .

نظر إليه (رامى) بدهشة قائلاً :

ـ تساعدنى .

ـ نعم .. إننى مستعد لتلبية جميع أطماعك .. مستعد لأن أحقق لك فى بضعة أشهر ما لم تكن لتستطيع تحقيقه طوال السنوات الباقية من عمرك .. سواء عملت فى الخارج .. أم عملت هنا .

قال له (رامى) بسخرية :

ـ ياه ! هل ستعيُنُنِى فى وظيفة مهمّة لديك ؟ مهمة إلى هذا الحد ؟

قال له (وجدى) بصرامة :

ـ لاتسخر مما أقوله .

ـ إننى لا أفهم .. ماذا تريد منى ؟ فى الماضى لم

تكن راضيًا عن زواجى من (ميرفت) وقد أحسست بكراهيتك لى من أول يوم التقينا فيه ، عندما جئت لأطلب يدها منك . ولم تحاول إخفاء كراهيتك هذه .. بل سعيت منذ اليوم الأول لخطبتنا كى تهدم هذه الخطبة .. إلى أن تحقق لك ذلك .

واليوم تستدعينى لمقابلتك هنا ، وتخبرنى أنك تريد أن تساعدنى . وأن تعوضنى عن كل شىء .. فلماذا ؟

- لأن هناك ما يضطرنى لذلك .

- مازلت لا أفهم .. ما الذى يضطرك إلى ذلك ؟

- (ميرفت) .

- وما علاقة (ميرفت) بذلك ؟

قال (وجدى) بنبرة أقل حدة :

- اسمع يا بنى .. إننى موافق على زواجك من ابنتى .

نظر إليه (رامى) لبرهة وقد فغر فاه .. ثم مالبث

أن انطلقت ضحكاته . لكن (وجدى) استوقفه قائلاً بصوت حزين :

- الأمر لا يستدعى الضحك .

قال (رامى) وهو يحاول السيطرة على نفسه :

- إذن .. متى يكون الضحك ؟ هل استدعيتنى إلى هنا لتقول لى إنك موافق على زواجى من ابنتك ؟

- نعم .

- أى زواج ؟ لقد كان بيننا خطبة وانتهت .

- كل شىء يمكن أن يعود إلى ما كان عليه من قبل .

نظر (رامى) مدققًا وهو يقول :

- هل أنت واثق أنك لا تحاول أن تسخر منى ؟

- وهل فيما أقوله مايدعو إلى السخرية ؟ اسمع يا بنى .. إننى لا أريد إضاعة الوقت أكثر من ذلك .

- اسمعنى أنت .. إننى لا أفهم شيئًا .. لقد كنت

ناقمًا على ارتباطى بـ (ميرفت) منذ البداية .. وبذلت كل جهدك لكى لا ينتهى الأمر بيننا بالزواج .. والآن تدعونى إلى هنا .. وتخبرنى بأنك موافق على زواجى منها .. ما معنى ذلك ؟

- لابد أنك كنت تعرف سبب رفضى لك من قبل .

- بالطبع .. لأننى فقير .. وهى من أسرة غنية .. إنها ابنة المليونير (وجدى الغرباوى) .. أما أنا فابن (عبد الرحمن رياض) الموظف البسيط فى وزارة التموين .. لقد وجدت أننى لا أليق بالمقام .

- بل لأننى اكتشفت منذ الوهلة الأولى أنك لاتحب (ميرفت) .. وأنك استغللت عاطفتها البريئة لتجعلها تتعلق بك .. طمعًا فى ثروتها وثروة أبيها .

- هذا غير صحيح .. أنت تعرف .. أننى ..

قاطعه (وجدى) بصرامة قائلاً :

- أنت تعرف أنك لن تستطيع أن تخدعنى .. إذا كنت قد نجحت فى خداع ابنتى .. فلم تكن لتستطيع أن تنجح فى ذلك معى .

- حسن .. وما الذى طرأ إذن ليجعلك تغير رأيك فى .. وتطلب منى اليوم أن أعود للاقتران بابنتك ؟

أطلق (وجدى) زفرة طويلة قائلاً :

- إنها (ميرفت) .. لو كان الأمر بيدى لما وافقت على زواجك منها مطلقًا .. لكن مضطر للموافقة على ذلك من أجلها .

قال (رامى) متهكمًا :

- آه .. فهمت .. الفتاة المدللة .. ابنة الثرى الكبير .. قد اشتاقت للعبتها القديمة .. وهى تريد الآن استردادها .

وطبعًا لا يرد للابنة المدللة طلب .. إذا ما أصرت على طلبها هذا .

صاح (وجدى) منفعلاً وهو يقول :

- اسكت ! أنت تعرف أنها تحبك .. وأن عواطفها البريئة لم تتعلق بأحد سواك .. وهذا من سوء حظها .

- هى التى أقنعتك بالعدول عن رفضك لزواجنا .

ـ هى لاتعرف أى شىء عن لقائنا هذا .. ويجب ألا تعرف .. فهى شديدة الحساسية .. وأمر كهذا يمكن أن يجرح كرامتها .

ـ على أية حال .. لم يكن الأمر خاصًا بك أو بها .. أنا أعترف أننى لم أبادلها مشاعرها على النحو الذى أحبتنى به .

كما أعترف أن الأمر كله كان مبنيًا على خطأ منذ البداية .

لكننا استطعنا أن نسوى كل شىء فى الوقت المناسب .. ولا أظن أن من الصواب أن يكون هناك زواج قائم على مشاعر غير متكافئة .

إننى أحترم عاطفتها نحوى .. ولكن ..

قاطعه (وجدى) قائلاً بنبرة حزينة :

ـ إن (ميرفت) لن تعيش طويلاً .

نظر إليه (رامى) بدهشة ، وقد بدا أنه أخطأ السمع فعاد ليقول له :

ـ ماذا تقول ؟

أغمض (وجدى) عينيه قائلاً :

ـ أقول لك أن ابنتى لن تعيش طويلاً .. إنها مريضة .. وقد أكد الأطباء أنه لم يعد متبقيًا لها من العمر سوى أشهر معدودة لن تتجاوز العام .

ظل (رامى) صامتًا .. وقد أصابه الوجوم .. ولم يدر .. ماذا يقول فى هذه اللحظة ؟

(ميرفت) .. الفتاة التى كان يحسدها الجميع على ثرائها وجمالها ونضارتها .

والتى حسده الجميع بسبب حبها له .. وخطبته لها .

(ميرفت) زهرة كلية التجارة .. التى كان يحلم بها الكثيرون .. لم يعد متبقيًا لها من العمر سوى أشهر قليلة .. أيمكن أن يكون هذا حقيقيًا ؟

* * *

٦ ـ الصفقة ..

سأله (رامى) قائلاً :

ـ هل تعرف بحقيقة مرضها ؟

ـ تعرف أنها فى طريقها إلى الشفاء منه .

ـ ألا يوجد أمل فى .. ؟

ـ ليس لدى أمل سوى فى رحمة اللّٰه .

تهالك (رامى) فى مقعده وهو يغمض عينيه قائلاً :

ـ مسكينة !

ـ إنها ما زالت تحبك .. لقد اكتشفت ذلك برغم أنها تحاول إخفاءه عنى .. وقد رأيتها وهى تتأمل صورتك منذ يومين .. وعندما دخلت عليها الحجرة سارعت بإخفائها .

قال (رامى) بلهجة أكثر تعاطفًا .

ـ أنا آسف .. لو كنت أستطيع أن أفعل شيئًا .

ـ تستطيع أن تسعدها العمر القصير الذى تبقى لها .

ـ كيف ؟

ـ لقد آليت على نفسى أن أحقق لها كل ماتريده .. ومهما كان .. حتى لو كان ضد رغبتى .

إنها تحبك .. لذا أريدك أن تعود إليها وأن تتزوجا .

ـ لا أنكر أننى متعاطف معك .. وأنا أشعر بالأسى من أجل (ميرفت) خاصة أن الذى كان بيننا لم يكن مجرد عاطفة عابرة .. بل كان ارتباطًا حقيقيًا من الممكن أن يؤدى إلى زواج .

ولكن .. أنا أيضًا لى ظروفى .. وظروفى لاتسمح لى بالارتباط بابنتك مرة أخرى .

ـ إننى لن أحملك بأية أعباء بسبب هذا الزواج .. وظروفك ستختلف تمامًا بعد الارتباط بابنتى .

لن تكون لديك أية مشاكل مالية إطلاقًا بعد ذلك .

ستعيش معى فى الفيلا .. وستكون لك سيارة أنيقة .. وحساب فى البنك .. وراتب شهرى .. ووظيفة محترمة لو أردت .

قال (رامى) بدهشة :

ـ ما كل هذا ؟ إنك تجعل الأمر يبدو كما لو كان صفقة .

ارتكز (وجدى) بمرفقيه على حافة المكتب ، وهو يمد عنقه للأمام قائلاً :

ـ إنها صفقة بالفعل .

قال (رامى) وقد ازدادت دهشته :

ـ ما هذا الذى تقوله ؟ أتريد أن تحول زواجى من ابنتك إلى صفقة من صفقاتك التجارية ؟

ـ لقد قلت لك إننى مستعد أن أفعل أى شىء فى سبيل إسعاد ابنتى .. ولكى أحقق لها كل ما تتمناه خلال الشهور الباقية من عمرها .

ـ ألم يخطر ببالك أننى لا أحب ابنتك ؟ أنت نفسك قلت لى منذ قليل إنك كنت تعرف أننى لا أحبها .

ـ لا يهمنى أن تحبها .. المهم أن تشعرها بأنك تحبها ـ أى تتظاهر بهذا الحب .

ـ تقصد أخدعها .

ـ لا بأس إذا كان ذلك سيسعدها .

ابتسم (رامى) قائلاً بسخرية :

ـ يا له من منطق غريب ! ذلك الذى يتحدث به أب عن ابنته .. كيف ترضى لابنتك أن تكون ..

قاطعه (وجدى) قائلاً :

ـ فى الظروف العادية لم أكن لأرضى بالطبع .. لقد رفضتك من قبل لأننى أحسست أنك مخادع وطماع .. أحسست أن المشاعر التى تظهرها نحو ابنتى زائفة .

أما الآن وبعد أن عرفت أن ما تبقى لها من العمر قليل ..

فلا يعنينى أن تعيش هذا العمر القصير مخدوعة .. ما دامت ستعيشه سعيدة .. فلن يكون لديها الوقت الكافى لتكتشف أنها قد خدعت وجرحت فى مشاعرها .

يكفينى أن تموت دون أن أراها كسيرة القلب .

نهض (رامى) قائلاً :

ـ آسف .. لا أستطيع أن أقوم بهذا الدور .

ـ إننى أمنحك فرصة عمرك .

ـ أنت لا تفهم شيئًا .. أنا مرتبط بفتاة أخرى بالفعل .

ـ (نهلة) .. أليس كذلك ؟

نظر إليه (رامى) بدهشة قائلاً :

ـ كيف عرفت اسمها ؟

ـ قلت لك إن لى مصادرى .. لقد استطعت فى يومين اثنين فقط أن أجمع كل المعلومات التى أريدها عنك .

ـ إذن فأنت تعرف أننا متحابان .. وأننا على وشك الزواج .

قال (وجدى) بثقة :

ـ لن يحدث ذلك .

ـ ماذا تعنى بأنه لن يحدث ذلك ؟ هل تظن أنك تستطيع أن تتدخل فى العلاقات الإنسانية أيضًا .. وتسير كل شىء وفقًا لما تريد ؟

قال (وجدى) بهدوء :

ـ أنا لم أتدخل فى شىء .. ولكن الظروف هى التى تدخلت وأفسدت العلاقة بينكما .

ـ أية ظروف ؟

ـ ظروفك .. إنك لم تحقق ما وعدت به .. عدت من سفرك خالى الوفاض .. والفتاة لها الكثير من الطموحات والآمال التى لن تستطيع أن تحققها لها .

ـ لكنها تحبنى .

ـ ليس أكثر من نفسها ومن أطماعها .. هل تنكر أن بينكما خلافات عديدة منذ عودتك ؟

ـ لا أنكر ذلك .. بيننا بعض الخلافات والمشاكل .. لكنها ستحل .

ـ هل تعتقد ذلك ؟

ـ وهل تعتقد أنت غير ذلك ؟

ـ نعم .

ـ كيف ؟

ـ لأن الفتاة فى طريقها للزواج من شخص آخر سواك .

صاح (رامى) قائلاً بانفعال :

ـ أنت كاذب !

ـ هذه هى المرة الثانية التى تسىء إلى فيها وتتهمنى بالكذب ، برغم أننى فى عمر والدك .. ولولا الظروف لأمرت بإلقائك خارج المكتب .

ـ على أية حال .. إننى لست مستعدًا لقبول هذه الصفقة .

ـ لا تتعجل .. فكر فى الأمر جيدًا .. وتأكد أننى كنت صادقًا فى كل ما قلته لك .. وأن العرض الذى أقدمه لك هو أفضل ما يمكنك الحصول عليه فى ظل هذه الظروف .

غادر (رامى) الحجرة دون أن يعلق بشىء .

استقل سيارة الأتوبيس ، وجلس ينظر من النافذة ، وهو شارد بنظراته عن الطريق .

لقد تسللت أفكاره إلى فترة ماضية من عمره .

تلك الفترة التى عرف فيها (ميرفت) .. والتى قادته إلى الارتباط بها برغم أنه لم يكن يحمل لها حبًّا حقيقيًّا .

لقد عرفها خلال فترة الدراسة ، وهو فى السنة الأخيرة بالكلية ..

كانت خجولاً برغم جمالها وثرائها ومحاولات الكثيرين من الزملاء للتقرب إليها .

وكان هو وقتها غارقًا فى حبه لزميلته (شهيرة) .. فقد فتن بها منذ اللقاء الأول بينهما .. وتعاهدا على الحب والارتباط .

لم يكن يدرى وقتها أهو حب حقيقى أم وهمى ؟

وهل كانت عاطفة راسخة فى نفسه أم مشاعر من بقايا مرحلة المراهقة ؟

كل مايعرفه هو أنه أحبها وتمناها زوجة له ، دون أن يكون واقعيًا بالقدر الكافى .

تمامًا .. كما أحبته (ميرفت) عندما جذبها معه إلى النشاط الاجتماعى للكلية استغلالاً لثرائها ، ومايمكن أن تقدمه من خدمات لهذا النشاط .. دون أن يدرك شيئًا عن هذا الحب .. ودون أن تكون واقعية فى حبها له .. وتنظر إلى العديد من الفوارق التى تفصل بينهما .. وانتهت الدراسة .. واصطدمت العاطفة بالواقع .

الفتاة التى أحبها تزوجت من أول عريس ثرى تقدم لها .. وألقت بالحب وراء ظهرها .

وتحت وطأة أحاسيس كثيرة تجمع بين الرغبة فى الانتقام ، وصدمته العاطفية ، وسخطه على مشاعر الحب الذى أحبه للفتاة التى هجرته قرر أن يتصرف مثلها .

فأراد أن يتزوج من الفتاة الثرية التى أحبته .. واستغل مشاعرها نحوه .. وحبها له ليدفعها للارتباط به .

وبرغم معارضة أبيها فى البداية ، إلا أنه استغل تأثير ابنته عليه ليوافق على خطبته لها .

لكن الأب ظل رافضًا له حتى بعد انعقاد هذه الخطبة .. وبذل كل جهده لإنهائها والحيلولة دون زواجهما .. لأنه كان يراه غير مناسب لها .

وفى الحقيقة لم يكن مقدرًا لهذه الخطبة أن تستمر طويلاً .

لأنه هو نفسه لم يكن مقتنعًا بالارتباط بـ (ميرفت) .. ولم يكن راضيًا عن الأسلوب الذى لجأ إليه ليوهمها بحبه لها .. ولا بالمنهج الجديد الذى اختاره لحياته .

فانهارت خطبتهما سريعًا .. وعرف الحب مرة أخرى مع (نهلة) زميلته فى العمل .

وقرر هذه المرة أن يكون عمليًا فى ارتباطه بها ، وأن يوفر الاحتياجات الضرورية لهذا الارتباط ، دون أن يضطر للتخلى عن مبادئه والتصرف بطريقة انتهازية أو وصولية .

فسافر إلى السعودية بعد حصوله على عقد عمل هناك .

وبرغم معاناة الغربة والعمل فى ظل ظروف قاسية فرضتها عليه وظيفته هناك .. إلا أنه كان مستعدًا للتحمل من أجل ارتباطه بـ (نهلة) .. لكن الحظ السيئ كان له بالمرصاد .. فقد ألغى العقد الذى كان مقررًا له خمس سنوات بعد عام واحد من سفره . واضطر للعودة إلى مصر .

كانت الوظيفة التى التحق بها فى مصر والتى عرف من خلالها (نهلة) وظيفة مؤقتة .. لذا كان عليه أن يبدأ فى البحث عن وظيفة من جديد .. وأن تتراجع أحلامه مؤقتًا إلى الوراء . لكن الفتاة بدأت فى التذمر .. وعاد الواقع ليلقى بظلاله الثقيلة عليهما .. فبدأت المشاكل بينهما تزداد وتتضخم .

وأطلق زفرة قصيرة عبرت عما يجيش فى نفسه من إحساسه بالظلم لقسوة ظروفه .. قبل أن يعاود الشرود مع أفكاره قائلاً لنفسه :

ـ لكن أيا كان الأمر .. لا يمكن أن يصل لحد أن تتخلى (نهلة) عنى وترتبط بآخر .

مهما كانت المشاكل .. ومهما كانت المصاعب .. فهما متحابان . وحبهما أقوى من أية ظروف أو مشاكل يواجهانها .. كلا .. لايمكن أن تتخلى عنه الآن .. بعد كل ما فعله وحاول أن يفعله من أجلها .

إن (وجدى) كذب عليه بلا شك .. وما قاله عن ارتباطها بآخر لا يمكن أن يكون صحيحًا .

وفكر فى أن يغادر سيارة الأتوبيس ، ويذهب إليها الآن .

حقًا .. إنهما متخاصمان منذ ثلاثة أيام .. لكن عليه أن يتجاوز هذا الخصام .. وأن يبادر بمصالحتها حتى لو كانت هى التى قد أخطأت فى حقه .. فالحب يغفر كل شىء .

وعليه أن يثبت لنفسه على الأقل أن حبهما مازال قويًا راسخًا .. وأنه لا يمكن أن يكون قد وصل إلى هذه الدرجة من الهوان .. كما أراد أن يقنعه بذلك (وجدى الغرباوى) .

* * *

٧ ـ تعلمت الدرس ..

ارتبكت الفتاة عندما فتحت الباب لتجده واقفًا أمامها .

فقالت له بصوت متلعثم :

ـ (رامى) .

قال :

ـ (نهلة) .. لقد ذهبت إليك فى الشركة .. فأخبرونى أنك قد تركت العمل .

ـ نعم .. لقد تركت الوظيفة .

ـ لماذا ؟

ـ إن الراتب غير مجز والوظيفة مؤقتة كما تعرف .. وهم كانوا فى طريقهم إلى إلغاء عقودنا فى نهاية السنة على أية حال ..

ـ كان يمكن أن تستمرى إلى نهاية السنة على الأقل .. حتى تعثرى على وظيفة أفضل .

نظرت إليه قائلة :

ـ وهل استطعت أنت أن تحصل على هذه الوظيفة ؟

ـ فى الحقيقة .. إننى .. إننى سأحصل عليها فى النهاية بكل تأكيد .

المهم أننى جئت اليوم لمصالحتك .. إننى أرى أنه من الحماقة أن نظل متخاصمين على هذا النحو .

قالت له وقد عاودها التلعثم :

ـ على أية حال .. لم يعد هناك ما يدعو إلى الزعل أو الخصام .

ـ إذن ... فقد تصافينا .. أليس كذلك ؟

هزت رأسها دون أن تجيبه بشىء .

بينما نظر إليها قائلاً :

ـ هل .. سأظل واقفًا هكذا ؟ ألا تدعيننى للدخول ؟

ـ لايوجد أحد فى الشقة .. وأنا هنا بمفردى .

أمسك (رامى) بمرفقيها قائلاً :

- (نهلة) .. إذا كانت بعض المشاكل قد أثرت علينا فى الآونة الأخيرة فأنا أعدك بأننى ..

قاطعته قائلة وهى تبعد مرفقيها عن أصابعه :

- (رامى) .. لاداعى للخوض فى هذا الحديث .. لقد انتهى ما بيننا .

نظر إليها بدهشة قائلاً :

- ماذا تعنين بذلك ؟

تركته واقفًا ودخلت إلى الشقة للحظات .. ثم عادت لتقدم له علبة من القطيفة الحمراء .. قائلة بصوت خافت .

- تفضل .

- ما هذا ؟

- إنها الشَبْكَة .

اتسعت حدقتاه وهو ينظر إليها قائلاً :

- الشَبْكَة ؟

- لقد كنت أنوى إعادتها إليك اليوم عن طريق أحد زملائنا لكن ما دمت قد حضرت ..

صاح قائلاً بانفعال :

- دعينى أفهم .. ما معنى هذا ؟

قالت له بصوت مرتجف :

- أرجوك لاداعى للصياح هكذا فنحن واقفان على السلم .. ألم تفهم بعد ؟ لقد انتهى ما بيننا .

- (نهلة) لايمكن أن تتخلى عن حبنا بهذه البساطة .

- (رامى) .. كل شىء قسمة ونصيب .. وأرجوك دعنا نفترق أصدقاء .

- لقد تمت خطبتى بالأمس لشخص آخر .

ظل ينظر إليها للحظة بعينين جاحظتين وكأنه يحاول استيعاب الموقف ، ثم ما لبث أن صاح قائلاً :

- كيف ؟

قالت له وقد أصبحت أكثر تماسكًا وهدوءًا :

ـ كما يحدث للكثيرين من البشر .

نظر إليها فى مرارة قائلاً :

ـ ومن هو ذلك الشخص الذى بعتنى لأجله ؟

ـ دعك من هذه العبارة الضخمة .. إننى لم أبعك ولم تبعنى .. الظروف هى التى فرضت علينا ذلك .

قال (رامى) بسخرية مريرة .

ـ لابد أن ظروفه أفضل بكثير من ظروف البائس الذى ارتبطت به من قبل .

قالت وقد وجدت فى نفسها الجرأة لتكون أكثر تحديًا :

ـ نعم .. لديه شقة جاهزة .. بجميع الكماليات .. ولديه السيارة ولديه كل ما تتمناه فتاة ترغب فى الزواج .

ـ لكن لايمكن أن يكون لديه الحب الذى أحببتك به .

ـ الحب الذى تتحدث عنه لايصلح إلا للروايات .. هناك أشياء كثيرة بالنسبة للفتاة فى زمننا الصعب هذا تأتى قبل الحب ..

وما لبثت أن ارتسمت على وجهها ملامح الارتباك وهى تنظر خلفه قائلة له بصوت خافت :

ـ أرجوك انصرف الآن .

نظر (رامى) وراءه ليرى شخصًا يقترب من الشقة محملاً بالهدايا وهو ينظر إليها وإليه شزرًا .

بينما سارعت (نهلة) برسم ابتسامة على وجهها ، وهى تستقبله بترحاب قائلة :

ـ أهلاً (نبيل) .

قدم لها هداياه ، وهو ينقل بصره بينها وبين (رامى) قائلاً :

ـ ألا تعرفيننى .. بالأستاذ ؟

قالت له بارتباك :

ـ لقد أخطأ فى الشقة .. وكنت أوضح له العنوان .

ظل (رامى) واقفًا للحظة وهو ينظر إليهما .. ثم استدار وهو يهبط درجات السلم بخطوات ثقيلة .

وقبل أن تغلق (نهلة) الباب ، استدار ليلقى عليها نظرة أخيرة .. وكأنه يودع بهذه النظرة كل معانى الحب التى عرفها وآمن بها من قبل .

وابتسم فى مرارة قائلاً لنفسه وهو يسير فى الطريق :

ـ لقد كان (وجدى الغرباوى) محقًا فى كل ما قاله ..

إنك لم تتعلم الدرس الذى تلقيته سابقًا أيها الأحمق ..

لقد هجرتك الحبيبة الأولى لأنك فقير ولا تملك شيئًا ..

حاولت أن تكون ماديًا وانتهازيًا ، وأن تختصر الطريق لكنك لم تنجح لأنك لم تكن مؤهلاً لذلك بعد .

عدت مرة أخرى إلى وهم الحب والعواطف الزائفة .. وحاولت أن تقنع نفسك أن حبك الأول لم يكن

ناضجًا .. لذا لم يكتب له النجاح .. وأنك تستطيع أن تنجح فى حبك الثانى .. لكن الفشل ظل يطاردك .. واستيقظت مرة أخرى على صدمة الواقع .. وعلى الحقيقة المريرة .. الفقير فى زمننا هذا ليس من حقه أن يحب .

والمفتاح الحقيقى الذى يفتح أمام المرء كل الأبواب هو مفتاح المال والثراء .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً لنفسه :

ـ وسوف أكون ثريًا .. لقد تعلمت الدرس جيدًا هذه المرة .

ولن أسمح لنفسى بالفشل مرة أخرى .

* * *



٨ ـ من أجل سعادتها ..

قالت السكرتيرة لـ (وجدى الغرباوى) :

ـ الأستاذ (رامى) يطلب مقابلة سيادتك .

قال لها (وجدى) بهدوء :

ـ دعيه يدخل .

دخل (رامى) إلى الحجرة وعلى وجهه ملامح الاستسلام قائلا :

ـ هأنذا قد عدت .

قال (وجدى) وهو يشير إلى المقعد المواجه لمكتبه يدعوه إلى الجلوس :

ـ كنت أعرف أنك ستأتى .

ـ إننى مستعد لتنفيذ ما طلبته منى .

ـ أولاً .. لابد من ترتيب طريقة مناسبة للقائك بـ (ميرفت) .. ولكى يبدو الأمر طبيعيًا وغير مفتعل .

ثانيًا .. لابد من التعجيل بالزواج .

ثالثًا .. لابد من ترتيب هذا الزواج بطريقة تحفظ لابنتى كرامتها .

ودون أى جرح لمشاعرها .. يجب أن تشعر بأنك عدت إليها لأنك تحبها .. ولأنك أحسست أنه لا غنى لك عنها .

لا أريد أن تحدثها عن مرضها ، أو يظهر منك ولو عن طريق الخطأ أى معرفة بالتطورات التى حدثت لها أخيرًا .

يجب ألا تشعر أن عودتك لها تخفى وراءها أية أطماع مادية .

حاول (رامى) أن يقنعه بأن موافقته على أن يعود للارتباط بـ (ميرفت) لاتخفى وراءها أية أطماع مادية .. قائلاً :

ـ يا (وجدى بك) .. إننى ..

لكنه قاطعه بنبرة حاسمة قائلاً :

- لاتقاطعنى .. عليك أن تستمع فقط لما أقوله لك جيدًا .. لأنك لو خالفت أى شىء مما اتفقنا عليه فلن أرحمك .

لا أريد أى مظهر من مظاهر الشفقة .. أريد فقط أن تعاملها بكل حب واحترام .. وأن تسخر نفسك لسعادتها .

والأهم من ذلك .. إياك أن تشعر للحظة واحدة أن الأمر كان مدبرًا بيننا .

- اطمئن .. لن أجعلها تشعر بشىء .. وسأبذل كل جهدى لإسعادها .. وإدخال البهجة على نفسها .

- من مصلحتك أن تفعل ذلك .. وهناك شىء آخر .

- وما هو ؟

- إياك والخيانة .. ستكون زوجًا مخلصًا لها حتى آخر دقيقة من عمرها .

وإذا كنت قد طلبت منك أن تتظاهر معها بالحب .. فإننى لن أسمح لك بأن تخونها فى الظاهر أو الخفاء .

إننى لا أستطيع أن أبدل المشاعر أو أتدخل فى السرائر .

لكنى أعرف جيدًا كيف أحافظ على كرامة ابنتى .

ولقد رأيت بنفسك أننى أستطيع أن أعرف كل صغيرة وكبيرة بشأنك .. وأننى أستطيع أن أحصل على أية معلومات أريدها عنك حتى وأنت فى الخارج .

- هل أعتبر هذا تهديدًا ؟

- نعم .. يتعين عليك أن تعتبره كذلك .. لأنك لو لم تحافظ على إخلاصك لابنتى طوال فترة زواجك منها .. فسوف أقتلك !

- اطمئن .. سأكون زوجًا مخلصًا لها .

ثم أردف قائلاً :

- هل هناك أية تهديدات أخرى تريد أن تهددنى بها ؟

- فلنفكر الآن فى الطريقة التى سنعيد بها ارتباطك بابنتى .

* * *

وقف الأب للحظة يرقب ابنته وهى جالسة فى الشرفة تتطلع إلى الحديقة الممتدة أمامها .. قبل أن يقترب منها قائلا :

ـ لقد استيقظت مبكرًا هذا الصباح .

ـ لأننى لم آخذ الدواء بالأمس .

نظر إليها بانزعاج قائلاً :

ـ كيف ؟ هل نسيت أن تأخذيه ؟

قالت وهى تتطلع لأحد الطيور المغردة :

ـ بل تعمدت ألا آخذه .

ـ كيف تفعلين ذلك يا بنيتى ؟ لقد طلب الطبيب أن تلتزمى بتناول دوائك فى مواعيده المحددة .

ـ لقد سئمت هذا النوم المتكرر والخمول الطويل .. كنت بحاجة لأن أستمتع بنسمات الصباح الجميلة بدلاً من الاستيقاظ فى الظهيرة .

ـ أرجوك يابنيتى .. عدينى ألا تكررى ذلك مرة أخرى وأن تنتظمى فى تناول الدواء فى الميعاد الذى حدده الطبيب .

ـ ألا يمكن تعديل مواعيد تناول الدواء بحيث يمكننى أن أستيقظ فى هذا الوقت المبكر ؟

ـ سأسأل الطبيب عما إذا كان هذا ممكنًا .. لكن الآن أريد أن أحصل على وعد منك بألا يتكرر هذا الخطأ .. وتمتنعى عن تناول دوائك فى مواعيده المحددة .

ابتسمت قائلة :

ـ أعدك بذلك .

ولكن فجأة وضعت يدها على جبهتها ، وقد ارتسمت ملامح ألم مباغت على وجهها .

فاقترب منها (وجدى) فى جزع قائلاً :

ـ ماذا بك ؟

قالت وقد اختفت التقلصات من وجهها :

ـ لا شىء .. إنه مجرد صداع بسيط هذه المرة .. وقد انتهى .

ـ هل رأيت نتيجة عدم تناولك للدواء ؟

قالت وهى تحاول أن تطمئنه :

ـ لاتقلق يا أبى .. لقد قلت لك إنـه مجرد صداع عابر وقد انقضى .

ـ سأتصل بالدكتور (منير) .

ـ لاتضخم الأمر .. فسوف أتناول دوائى الآن .

ـ هناك شىء آخر أريد أن أطلبه منك .

ـ وما هو ؟

ـ أن تعودى للذهاب إلى النادى .

ـ أنت تعرف أننى لم أعد أرتاح للذهاب هناك .. خاصة منذ أن أصبت بهذا المرض .

لكنك بحاجة للتغيير .. وربما لو ذهبت إلى النادى كما كنت تفعلين من قبل .

ـ أشكرك على اهتمامك بى يا أبى .. لكن لم أعد أشعر برغبة فى الذهاب إلى هناك .

ـ كما تشائين يا بنيتى .

وقبلها فى رأسها .. ثم تظاهر بأنه يستعد لمغادرة الشرفة .. قبل أن يتوقف .. وكأنه يستدرك قائلاً :

ـ على فكرة .. لقد كنت فى النادى منذ يومين .. هل تعرفين من رأيت هناك ؟

قالت بلا مبالاة وهى مازالت تتأمل العصفور المغرد :

ـ من ؟

ـ خطيبك السابق (رامى) .

وسرعان ما بدا عليها الاهتمام .. وتغيرت ملامحها وهى تلتفت إلى أبيها قائلة :

ـ (رامى) ؟

ـ نعم .

قالت دون أن تتمكن من التغلب على إظهار اهتمامها :

ـ وماذا كان يفعل هناك ؟

قال الأب وهو يرقبها بنظرات مختلسة :

- لا أدرى .. لقد لمحته .. لكنى لم أتحدث إليه .. وقد أخبرنى (إبراهيم) عامل الكافيتريا أنه أصبح يتردد على النادى بصفة منتظمة فى الآونة الأخيرة .

وانصرف وقد تركها فى حالة من الاضطراب ، وقد تملكتها مشاعر شتى ، ثم ما لبث أن نادى مدبرة المنزل قائلاً بانفعال ، وبنبرة تختلف عن تلك التى كان يتحدث بها إلى ابنته منذ قليل .

- قولى لى .. ماذا تفعلين هنا ؟

نظرت إليه المرأة بارتباك قائلة :

- (وجدى بك) .. هل حدث منى أى خطأ ؟

صاح قائلاً بغضب :

- بل خطأ لا يغتفر .. لقد طلبت منك أن تضعى رعاية ابنتى ، والإشراف على انتظام مواعيد دوائها فى المقام الأول هنا فى هذا المنزل .. فكيف سمحت لها بألا تتناول الدواء فى ميعاده بالأمس ؟

قالت فى اضطراب :

- يا سعادة البك .. إنها هى التى ..

استمر فى انفعاله قائلاً :

- هى التى امتنعت عن تناول الدواء .. هذا ليس بعذر .. كان يتعين عليك أن تخبرينى بذلك .

خفضت المرأة بصرها إلى الأرض قائلة :

- آسفة يا فندم .. لن يتكرر هذا الخطأ مرة أخرى .

- إنه لن يتكرر لأنك لن تستمرى فى العمل بهذا المنزل بعد اليوم .

وفى تلك اللحظة ظهرت (ميرفت) بعد أن غادرت الشرفة قائلة :

- لقد قلت لك يا أبى إنه خطئى أنا .. أرجوك سامحها من أجلى ..

ظل الأب واقفًا فى مكانه وهو يحاول أن يسيطر على ثورته للحظة ، ثم ما لبث أن قال للمرأة :

- حسن .. سأسامحك هذه المرة .. لكن إياك أن يتكرر هذا الخطأ مرة أخرى .

غادرت المرأة حجرتها ، فى حين أسرعت (ميرفت) لتضع ذراعها فى ذراع أبيها ، وهى تلقى برأسها على كتفه قائلة :

- أرجوك يا أبى .. لا تدعنى أراك قاسيًا هكذا .. حتى لو كان هذا بسبب خوفك على .. فأنا لا أحب أن أراك بهذه القسوة .

قال وقد خفتت نبرات صوته وكساها الحنان :

- إننى لا أحتمل أى خطأ بالنسبة لك .

- إنك تتصرف كما لو كنت سأموت .

تراجع إلى الوراء بجسده ، وأمسك بذراعيها قائلاً بانفعال شديد :

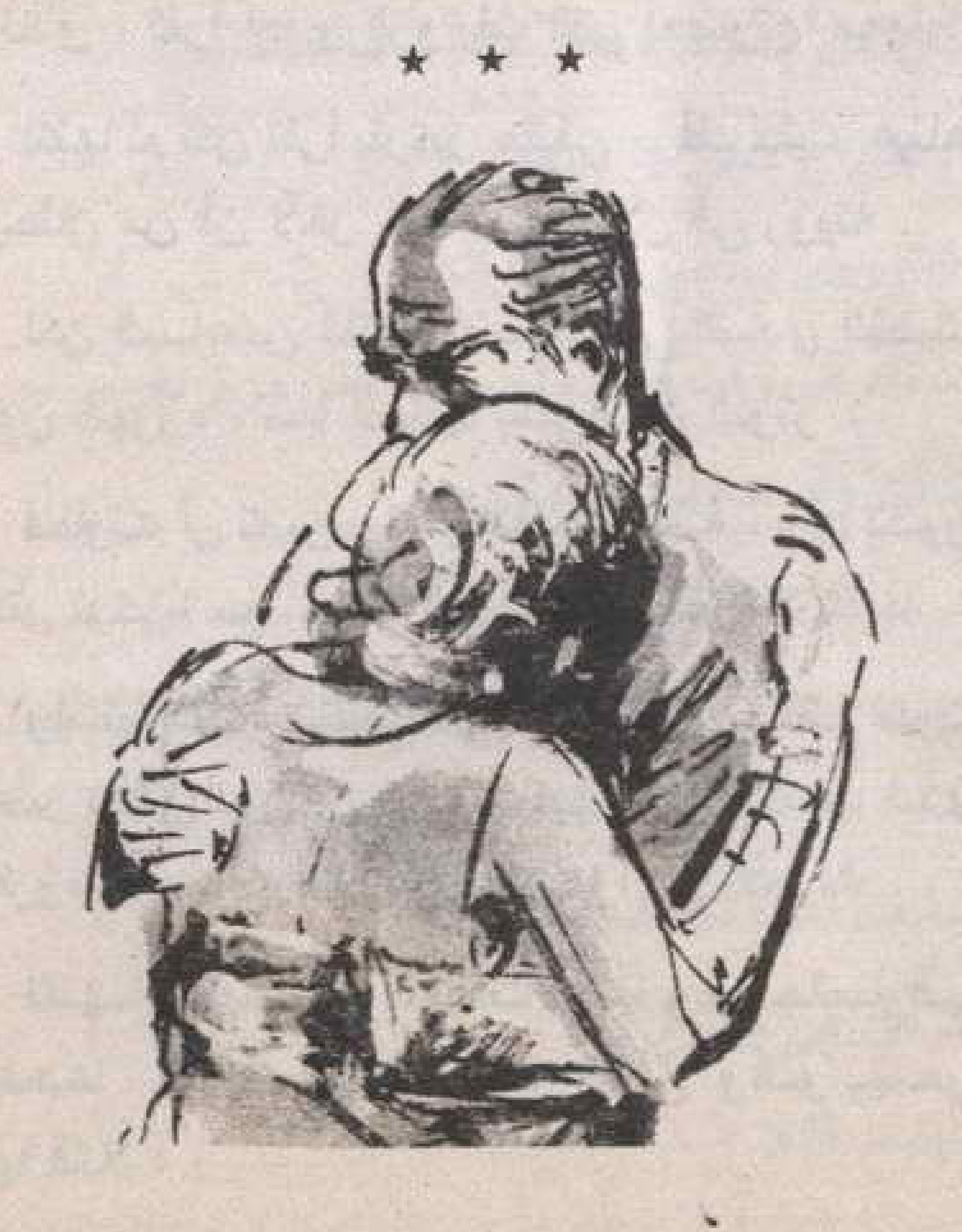
- لا أريد أن أسمع منك هذه الكلمة مرة أخرى .

- أنا آسفة .. على أية حال .. لقد قررت أن آخذ بنصيحتك .

وسأذهب إلى النادى .

احتضنها الأب وقد ارتسمت الابتسامة على وجهه .. بعد أن أدرك أن خطته تسير فى الطريق الذى رسمه لها .

* * *



٩ ـ وحدك فى قلبى ..

جلست (ميرفت) فى مكانها المعتاد بكافتيريا النادى ، تقرأ إحدى الروايات التى أحضرتها معها .

لكنها لم تكن تقرأ بتركيز حقيقى .. فقد كانت عيناها تبحثان من آن لآخر عنه .. وتأملان فى رؤيته .

لكن الساعتين اللتين قضتهما فى النادى انقضتا دون ظهوره ، مما أصابها بشىء من التوتر .

فحاولت أن تصرف تفكيرها بعيدًا عنه ، وأن تكون أكثر تركيزًا مع أحداث الرواية التى تقرؤها .

واستطاعت أن تنجح فى ذلك بالفعل .. فقد مرت عشر دقائق دون أن ترفع عينيها عن الكتاب الذى تقرؤه .. وبدأت تكون أكثر تركيزًا مع الأحداث .

لكنها ما لبثت أن انتفضت فجأة وهى جالسة فى مقعدها ، حينما سمعت صوته الدافئ وهو يهمس لها قائلاً :

ـ صباح الخير يا (ميرفت) .

رفعت عينيها عن الكتاب وهى تنظر إليه ، وقد ارتجفت كل خلجة من خلجاتها .

ظلت صامتة لبرهة وهى تحدق فيه ، قبل أن تتمكن من السيطرة على مشاعرها .. قائلة :

ـ صباح الخير يا (رامى) .

قال وهو يحاصرها بنظراته :

ـ لقد مر وقت طويل قبل أن نلتقى مرة أخرى .

قالت وقد عاودها ارتباكها :

ـ لم أكن أظن أنك عدت من السفر .

جذب مقعدًا ليجلس إلى المائدة التى تجلس إليها قائلاً :

ـ لقد عدت منذ أسبوعين تقريبًا .

ـ هل هى إجازة ؟

ابتسم قائلاً :

ـ نعم .. لكنها إجازة طويلة .. لقد استغنوا عن خدماتى .

ـ لماذا ؟

قال وهو يتناول من يدها الكتاب الذى تقرؤه :

ـ لاتشغلى نفسك بذلك .

ثم استطرد قائلاً وهو ينظر إلى عنوان الرواية :

ـ أما زلت تقرئين تلك الروايات الرومانسية ؟

ـ إنها هوايتى الوحيدة .

وضع الرواية على المائدة ، وهو ينظر إليها بعينيه العميقتين قائلاً :

ـ إننى سعيد لرؤيتك .

قالت وهى تحاول أن تجعله لايشعر باضطرابها :

ـ هل تأتى إلى النادى كثيرًا ؟

ـ منذ عودتى تقريبًا .

وصمت برهة قبل أن يردف قائلاً :

ـ وأنت ؟

ـ إنها المرة الأولى .. منذ ..

ـ منذ أن افترقنا .. أليس كذلك ؟

حاولت التغلب على ارتباكها ، وقد هبت واقفة وهى تقول :

ـ آسفة .. أنا مضطرة للانصراف الآن .

لكنه أمسك بيدها قائلاً :

ـ (ميرفت) .. لقد كنت أبحث عنك طوال الأيام الماضية .. ولم آت إلى النادى إلامن أجل رؤيتك .. لذا أرجوك لاتنصرفى الآن .

أحست بيدها ترتجف بشدة من ملامستها ليده .

ووجدت نفسها تعاود الجلوس كما لو كانت مسلوبة الإرادة .

لكنها استطاعت أن تجذب يدها من يده برفق .

بينما استطرد (رامى) قائلاً :

- لقد كان فراقنا خطأ كبيرًا .. يتعين علينا إصلاحه .

قالت وهى ترمقه بنظرة اتهام :

- الآن .. فقط اكتشفت أن فراقنا كان خطأ كبيرًا .

- بل منذ اللحظة التى حملتنى فيها الطائرة خارج مصر .

- إنه لم يكن خطئى على أية حال .

- أعرف أننى ربما أكون المخطئ .. لكن الخطأ الحقيقى فى الظروف التى تواجدنا فيها .

- أية ظروف ؟

- الظروف التى جعلتك غنية وجعلتنى فقيرًا .

- ما شأن الغنى والفقر بتخليك عن حبنا وارتباطنا ؟

- شأنه ؟ أنه يولد لديك الإحساس بالنقص .. والعجز .. وعدم الكفاءة .

- ألم تشعر بكل ذلك حينما سعيت إلى التقرب منى والارتباط بى ؟

- نعم .. لم أشعر بذلك من قبل .. لكنى أحسسته بشدة بعد أن ارتبطت بك ارتباطًا رسميًا ، ورأيت الفرق الشاسع بينى وبينك ، بين الحياة التى أحياها والحياة التى اعتدت عليها ..

المناخ الاجتماعى الذى نشأت فيه منذ الصغر ، وذلك الذى نشأت فيه منذ طفولتك .

لقد تبينت أن الاختلاف الذى لم يكن واضحًا تمامًا ونحن معًا فى الكلية ، أكبر مما تصورت حينما أصبحنا مخطوبين .

وقد أسهم أبوك فى إحساسى بذلك .. وبنظرات الرفض التى كنت أراها فى عينيه دائمًا .. وفى تصرفاته معى .. حتى بدا الأمر وكأننى لص جاء ليسطو على ابنته برغمه ..

- إن كل ما قلته لم يؤثر للحظة واحدة فى حبى لك ، ولم ينقص شيئًا من مشاعرى نحوك .. وقد كنت تعلم ذلك جيدًا .

قال لها بصوته الدافئ :

- أما زالت هذه المشاعر كما هى يا (ميرفت) ؟

قالت وهى تحاول تجاهل الإجابة عن سؤاله :

- ماذا تريد منى يا (رامى) ؟

- أريد أن تجيبى عن سؤالى أولاً .

- لاتتوقع منى أن أبقى محتفظة بهذه المشاعر بعد أن تخليت عنى فجأة .. وبقرار منفرد من جانبك .. ودون أن تعبأ للحظة واحدة بقلبى وبمشاعرى ، وبالجرح الذى خلفته لى بسبب تخليك عن حبنا وارتباطنا بهذه الطريقة القاسية .

- لقد شرحت لك الأسباب .. لقد وجدت نفسى وقتها غير كفء لك يا (ميرفت) .. كان اندفاعى للارتباط بك مغامرة فى ظل ظروفى التى كنت تعلمينها جيدًا .

كما أن محاولات أبيك لإبعادى عنك ، ورفضه لارتباطى بك والطريقة التى كان يشعرنى بها بعجزى .. وبأننى ارتبطت بك طمعًا فى ثروته ، كل ذلك أسهم فى اتخاذ هذا القرار الذى كان أكثر قسوة وإيلامًا على نفسى .

نظرت إليه بعتاب قائلة :

- وهل طرأ ماجعلك تغير رأيك فى هذا الشأن ؟

- نعم .. لقد قلت لك منذ البداية إن هذا كان خطأ كبيرًا .

فقد كان يتعين على ألا أبتعد عنك مهما كانت الأسباب ، لأننى أحببتك ومازلت أحبك .. حاولت أن أنساك وأن أتغلب على مشاعرى نحوك ، فلم أتمكن من ذلك سواء فى مصر أو فى الغربة .

إن الحب قيمة عظيمة يتعين علينا ألا نتخلى عنها مهما كانت الأسباب ، وأيًا كانت الاعتبارات .

- ولأنه كذلك .. فإنه يتعين ألا يكون اتخاذ المواقف بشأنه سواء كانت بالهجر أو بالارتباط ، بمثل هذه السهولة والاستهانة التى عاملت بها حبنا .

- سامحينى يا (ميرفت) .. لقد أخطأت من قبل .. لكننى لن أكرر الخطأ مرة أخرى .

إننى أحبك .. وأريد أن نعود لبعضنا من جديد .

ـ ألم تضع فى اعتبارك .. أننى ربما لم أعد أرغب فى ذلك ؟

ـ نعم .. لأننى أعرف أنك مازلت تحبيننى كما أحبك .

ـ وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟

ـ قلبى ينبئنى بذلك .

قالت وهى تخفى سعادتها بما تسمعه :

ـ لا أظن أننا نستطيع أن نعود إلى ماكنا عليه من قبل .

قال وهو يتناول يديها بين يديه ضاغطًا عليها برفق وحنان :

ـ بل نستطيع .. دعك من العناد والمكابرة .. لاتكررى الخطأ الذى ارتكبته فى حق حبنا من قبل .

لقد أسأت إلى هذا الحب لأننى جعلت اعتبارات أخرى تتدخل فى عاطفتى نحوك .. اعتبارات مثل الكرامة .. والتضحية .. والفقر .. والغنى .. فلا تسمحى

لاعتبارات أخرى مثل العناد والمكابرة أن تسىء إلى هذا الحب مرة أخرى .

قالت بصوت واهن وقد استسلمت أصابعها للمسات أصابعه :

ـ دعنى أفكر .

ـ أريد أن أسمع ردك الآن .

قالت وهى تغالب عاطفتها :

ـ (رامى) .. لقد أصبت مشاعرى بالارتباك .

لايمكن أن يحدث ماحدث .. وأن تغيب عنى هذه الفترة الطويلة . ثم تأتى لتظهر أمامى هكذا فجأة ، لتطلب منى أن نعود لبعضنا من جديد وأن اتخذ قرارًا عاجلاً فى هذا الشأن .

على الأقل امنحنى وقتًا كافيًا للتفكير فى هذا .

ـ حسن .. كما تريدين .. لكن لاتضيعى وقتًا كثيرًا فى التفكير .. وتذكرى قبل أن تتخذى قرارك .. أنه يجب ألا نسمح لأية أشياء أخرى أن تتدخل فى مشاعرنا من جديد .

لو كنت تحبيننى حقًا كما أحبك فلا تترددى .. أما إذا لم يعد لهذا الحب وجود فى قلبك .. فإن هذا سيعنى أن قلبى كان مخطئًا فيما أنبأنى به .. ولن أحاول أن أفرض مشاعرى عليك بأى حال من الأحوال .

قالت (ميرفت) لنفسها وهى تتجنب النظر إليه :

ـ حمدًا لله على أنك لاتستطيع أن تخترق مشاعرى بأفكارك ، وأن ترى ما فى قلبى حقًا .. وإلا عرفت أن هذه المشاعر مازالت ملكًا لك .. وأن قلبى يصرخ بحبك .

نعم يا (رامى) .. إننى أحبك .. وقد تمنيت دائمًا أن تعود لى مرة أخرى ..

حلمت أن تظهر فى حياتى من جديد .. ورأيت فى حلمى وأنت تطلب منى ما طلبته الآن .

لكننى لن أصرح لك بذلك الآن .. بل بعد فترة من الوقت .. ربما بعد أسبوعين .. أو أسبوع واحد .. أو ربما تسمعه منى غدًا .

فقد لا أقوى على الانتظار أكثر من ذلك .

* * *

١٠ ـ تصالحت مع الحياة ..

جلس (وجدى) و(رامى) فى شرفة الفيلا يتحدثان معًا حينما أقبلت (ميرفت) فى سيارتها التى كانت تقودها بنفسها .

وقد لمحتهما وهما جالسان فى الشرفة ، فأخذت تلوح لهما فى سعادة . فبادلاها التحية .

بدت فى حالة من المرح والحيوية لم يعهدها فيها أبوها منذ فترة طويلة ..

وغادرت سيارتها وهى تحمل كمية كبيرة من المشتريات .

ارتسمت ملامح الرضا على وجه الأب وهو يقول :

ـ إننى سعيد لتحسن حالتها النفسية على هذا النحو .

فقال (رامى) :

ـ هذا ما لاحظته أنا أيضًا خلال الأيام الماضية .. وأظن أن لى دخلاً فى ذلك .

ـ لقد قمت بدورك كما يجب .

ـ وأنا فى انتظار ما وعدتنى به .. حسب الاتفاق الذى تم بيننا .

ـ اطمئن .. سأنفذ اتفاقى معك بمجرد إتمام الزواج .

ـ أنا مستعد لعقد القران من الغد لو أردت .

ـ المهم أن توافق هى على ذلك .

ـ لا أظن أن هناك ما يحول دون ذلك .. خاصة بعد إعلان خطبتنا .

نظر (وجدى) إليه قائلاً :

ـ أنت تتعجل الحصول على المكاسب .

ـ وأنت تتعجل حصول ابنتك على قسط وافر من البهجة والسعادة .. أليس كذلك ؟

قال الأب باستياء :

ـ يا لها من مساومة !

ـ أنت الذى وضعت شروط الصفقة .. وليس أنا .

ـ فى الظروف العادية لا يمكن لأى أب أن يرضى لنفسه ولابنته بمقايضة المشاعر على هذا النحو .. ولكن الظروف الأليمة التى حتمها القدر هى التى فرضت على ذلك .

ـ وأنا أيضاً لم أكن لأرضى بمثل هذه الزيجة .. أو أوافق على اتفاق كهذا لو كانت أحوالى غير ذلك .

ـ ولكن تذكر ما قلته لك من قبل .. إنك مطالب بإسعاد ابنتى .. ومعاملتها بكل الود والحب والحنان فى كل لحظة من لحظات ارتباطكما .. وإياك أن تسىء لها ولو للحظة واحدة .

ـ اطمئن .. سأعتبر نفسى مسخراً من أجل ذلك .. فهذا هو المقابل الذى يتعين على أن أقدمه مقابل ما ستقدمه لى .

نظر إليه الأب بازدراء قائلاً :

ـ يالك من وغد مادى ! كنت أتمنى أن تقول إنك ستفعل ذلك لأنك تحمل لها قدرًا من الإحساس بالحب أو الشفقة على المصير الذى ينتظرها .. لكنك لاتفكر إلا فى المصلحة التى ستجنيها من وراء زواجك منها .

ـ أنت لم تمنحنى الفرصة من البداية للتعبير عن أى إحساس من ذلك النوع ..

لقد تعاملت مع مأساة ابنتك بعقلية رجل الأعمال التى تجيدها .. استخدمت ثراءك ونفوذك لتشترى بهما السعادة لابنتك .. واستغللت ظروفى السيئة لتتعامل معى بهذا المنطق ؟!

منطق (خذ .. وهات) .

فلمَ تلومنى الآن إذا كنت أطبق قواعد اللعبة .. وأتعامل مع الأمر بنفس المنطق ؟!

قال له الأب وقد لمح ابنته وهى تقترب :

ـ اصمت الآن .. إنها قادمة .. ولا أريدها أن تلاحظ شيئًا .

اقتربت (ميرفت) والابتسامة تضىء وجهها ، حيث سارع (رامى) بالنهوض لاستقبالها .. قائلة :

ـ (رامى) .. لم أكن أعرف أنك هنا .

ـ هل نسيت أنه كان بيننا موعد اليوم ؟

ـ آه .. حقًّا ؟ أنا آسفة يا (رامى) .. لقد نسيت .

ـ لا عليك .. أنا الذى كان يتعين على أن أؤكد على الميعاد باتصال هاتفى ليلة أمس .

انحنت على أبيها لتحيطه بساعديها ، وهى تقبله فى وجنته قائلة :

ـ كيف حالك يا أبى ؟

ربت بيده على ساعديها قائلاً :

ـ أنا بخير مادمت بخير يا بنيتى الحبيبة .

نظرت إليهما قائلة :

ـ لقد سررت عندما رأيتكما جالسين معًا وأنتما على هذه الحالة من الود والانسجام .

ابتسم الأب قائلاً :

ـ إن (رامى) بمثابة ابن لى .

نظرت إلى (رامى) بطرف عينيها قائلة :

ـ لم يكن هذا هو رأيك فيه من قبل يا أبى .

قال (رامى) محتجًا :

ـ ما هذا يا (ميرفت) .. هل تريدين أن تحسدينا ؟

ـ كلا .. لكنى مستغربة بعض الشىء .. خاصة عندما وافق أبى على خطبتنا مرة أخرى ، دون اعتراض أو معارضة هذه المرة .

قال الأب :

ـ لقد تبينت أننى كنت مخطئًا عندما رفضت اقترانك به فى المرة الأولى .. إن (رامى) ليس سيئًا على النحو الذى تصورته .

ـ على أية حال إننى ألاحظ أنك توافق على أشياء كثيرة أطلبها منك وكنت ترفضها من قبل .. مثل قيادتى لسيارتى بنفسى مثلاً .

سألها (رامى) :

ـ ألست سعيدة بذلك ؟

ـ سعيدة بالطبع .. ولكن ...

قاطعها الأب قائلاً :

ـ دعينا من ذلك ، وقولى لى .. ما الذى اشتريته لك اليوم ؟

فتحت ذراعيها بأقصى اتساعهما .. قائلة :

ـ اشتريت أشياء كثيرة وجميلة يا أبى .

ورمقت أباها بنظرة جانبية قائلة :

ـ لكنى أحذرك .. الميزانية اختلت تمامًا .

ضحك الأب قائلاً :

ـ دعى أمر الميزانية لى .. اصرفى ولا تهتمى .. المهم ألا تحرمى نفسك من أى شىء تريدينه .

قبلته قائلة :

ـ أشكرك يا أحسن وأعظم أب .

ـ إننى سعيد لأنك عدت للإقبال على الحياة على هذا النحو .

قالت وهى تنظر لخطيبها بحب وامتنان :

ـ نعم .. إننى أشعر بأننى قد استرددت سعادتى وتصالحت مع الدنيا .

واقتربت من (رامى) لتمسك بيده قائلة :

ـ و(رامى) .. له دخل كبير فى ذلك .

ـ مادام الأمر كذلك .. لم لانعجل بالزواج ؟

نظرت إلى (رامى) قائلة :

ـ ما رأيك يا (رامى) ؟

قال (رامى) :

ـ أنت تعرفين أن هذا هو ما أتمناه .. ونحن فى انتظار رأيك أنت ..

وقال الأب :

ـ ما رأيك فى أن يتم عقد القران فى الأسبوع القادم ؟

هتفت (ميرفت) :

ـ الأسبوع القادم ؟ لكن هذا توقيت قريب جداً .. وأنا لم أعد نفسى لذلك .. أنت تعرف أن الزواج يستلزم ترتيبات واستعداداً .

ـ لاتوجد مشكلة .. قولى أنت نعم .. ودعينى أتكفل بكل الترتيبات والاستعدادات .

أطرقت برأسها فى خجل قائلة :

ـ كما تشاء ياأبى .

ـ إذن نعقد القران فى نهاية الأسبوع القادم .

امسك (رامى) بيديها قائلاً :

ـ إنه أسعد خبر فى حياتى .

نهض الأب ليلف ذراعيه حولهما قائلاً :

ـ مبروك يا أولاد .. ربنا يتمم بخير .

وترقرقت عبرة في عينيـه أخفاها عن ابنتـه ، وهو يقبل جبينها قائلاً :

ـ اطمئني يا حبيبتي .. سيكون لك أجمل فرح تعرفه عروس .

* * *



١١ ـ المساومة ..

تناول يدها ليقبلها قائلا :

ـ لقد انقضى شهران الآن على زواجنا .. وأريد أن أعرف هل أنت سعيدة معي يا (ميرفت) .

قالت (ميرفت) :

ـ إنني سعيدة لدرجة أنني لا أظن أن هناك من هي أسعد مني .

ـ لكن يوجد من هو أكثر سعادة منك ؟

ضحكت (ميرفت) قائلة :

ـ من هو ؟

ابتسم قائلا :

ـ أنا بالطبع .

وضعت يدها على وجنته قائلة :

ـ حقًا يا (رامى) ؟ هل أنت سعيد معى ؟

ـ وكيف لا أسعد وقد تزوجت بفتاة رائعة مثلك ؟

ـ هل تقول هذا من قلبك ؟

ـ وهل تشكين فى ذلك ؟

ألقت برأسها على صدره قائلة :

ـ أتمنى أن أسعدك دائما يا (رامى) .. فأنت لاتعرف كم أحبك .

احتواها بذراعه قائلاً :

إن سعادتى هى فى وجودك معى .. بل أنا أستمدها من ابتسامة وجهك المشرقة .. فلا تحرمينى من هذه الابتسامة أبدًا .

وفى تلك اللحظة سمعا طرقات على الباب .. حيث أنبأتهما الخادمة بأن الإفطار معدّ فى انتظارهما .

توجها إلى حديقة الفيلا حيث وجدا الأب جالسًا فى انتظارهما ، وقد وضع الفطور على المائدة المعدة أمامه .

حيته الابنة وهى تقبله قائلة :

ـ صباح الخير يا أبى .

ـ صباح الخير يا حبيبتى .

وقال (رامى) :

ـ صباح الخير يا عمى .

ـ صباح الخير يا (رامى) .. لقد تأخرتما عن تناول فطوركما .

جلست (ميرفت) وزوجها إلى المائدة وقد استعدا لتناول الفطور ، وابتسمت (ميرفت) قائلة :

ـ آسفة يا أبى .. فى الحقيقة أنا التى أخرت (رامى) .

ـ وأخرتنى أنا أيضًا .. فلدى عمل مهم يتعين على أن أذهب إليه الآن .

ـ ليس قبل أن تتناول فطورك معنا .

ـ سأكتفى بالشاى .. فأنا مضطر ..

لكنها عاجلته بوضع نصف بيضة فى فمه .. قائلة :

ـ لن أسمح بأى مناقشة فى هذا الأمر .

وأخذت تلح على أبيها فى تناول المزيد من طعام الإفطار .

فقال لها مداعبًا :

ـ لماذا لا تحولين هذا الاهتمام إلى زوجك .. فأنا مستعجل الآن ؟

ابتسمت (ميرفت) قائلة :

ـ لماذا لا تجعل (رامى) يعمل معك يا أبى ؟

صمت الأب لبرهة وقد فاجأه السؤال .. ثم مالبث أن قال :

ـ لامانع لدى .. إن وظيفته محجوزة من الآن لو أراد .

نظرت (ميرفت) إلى زوجها قائلة :

ـ ما رأيك يا (رامى) ؟

قال لها مرتبكًا :

ـ فى الحقيقة .. أننى لم أفكر فى ذلك من قبل .

ـ يتعين عليك أن تفكر فى ذلك .. فأنت لن تبقى بلا عمل أو وظيفة بالطبع .

ـ طبعًا .. طبعًا .. ولكنى لا أريد أن أثقل على عمى .

ـ كما سمعت .. إن الوظيفة موجودة .

ـ لكن لا أريد أن أتركك فى بداية زواجنا .

ـ أنت لم تتركنى إلا الساعات التى تذهب فيها إلى عملك .. وأنا سأكون مثل أى زوجة تنتظر عودة زوجها من عمله .. لتنعم بصحبته وتعمل على خدمته .

هز (رامى) كتفيه قائلا :

ـ إذا كنت ترين ذلك .

- نعم .. إننى لا أرضى لزوجى أن يبقى بلا عمل .. خاصة وأنك تستطيع أن تحصل على وظيفة مرموقة فى إحدى شركات أبى .

ثم نظرت إلى أبيها وهى تردف قائلة :

- أليس كذلك يا أبى ؟

قال الأب :

- بالطبع يا بنيتى .. إنه زوج ابنتى .. لذا فإن مكانته الاجتماعية تهمنى .. ولابد أن يحصل على وظيفة ملائمة تتفق مع ذلك .

لقد كنت أنوى أن يأتى معى غدًا لاستلام عمله لو أراد .

نظرت إلى زوجها بعينين تتدفقان حبًا قائلة :

- سيأتى معك .. وأنا واثقة أنك ستكون راضيًا عنه .

* * *

سأله الأب وهو يصحبه فى سيارته إلى الشركة فى اليوم التالى :

- هل أنت الذى طلبت منها أن تحدثنى بشأن تعيينك فى شركتى ؟

- أنا لم أتحدث معها فى شىء كهذا .

- لا تقل لى إنها تقدمت بهذا الاقتراح من نفسها .

- هذه هى الحقيقة .. إننى لم أطلب منها أن تتحدث بشأن عملى معك .. ثم إننى لا أرغب فى الحصول على هذه الوظيفة .

قال (وجدى) متهكمًا .

- حقًا .. لماذا ؟ هل استمرأت البطالة ؟

- إننى أحصل على مبلغ مناسب منك كل شهر .. بالإضافة إلى الرصيد الذى أودعته باسمى فى البنك .. وهذا يكفينى فى الوقت الحالى أما الوظيفة .. فأنا أعرف أننى لن أستمر فيها .. بعد .. بعد .. بعد ..

أكمل (وجدى) قائلاً :

- بعد انقضاء الأجل المحتوم لابنتى .. على أية حال أنـت ستعين فى هذه الوظيفـة لمجرد مراعاة الوضع الاجتماعى .. فزوج ابنة (وجدى الغرباوى) يجب ألا يكون عاطلاً .

لكنك لن تكون مطالبًا بالقيام بأية أعمال .

- مجرد وظيفة للمظهر الاجتماعى .

- تمامًا .

- لكنى لست موافقًا على ذلك .

- ليس من حقك أن تقبل أو ترفض .

- بل من حقى أن أقبل أو أرفض ما أشاء .

- لقد وافقت منذ البداية على أن تنفذ كل ما أريده أو تطلبه ابنتى .

- هذا لايعنى أنك قد اشتريتنى .

قال (وجدى) بجفاء .

- بل اشتريت .. ودفعت .. ومازلت أدفع .

- إننى لاأدرى .. لماذا تصر على معاملتى هكذا برغم أننى أقوم بواجبى جيدًا تجاه (ميرفت) ؟

- تقصد .. تقوم بالدور المطلوب منك .

- أيًا كان الأمر .. فأنا لم أرتكب أى خطأ يستحق أن تعاملنى من أجله هكذا .

- وأنا لم أقصر التزاماتى نحوك .

- لكننى غير موافق على الأسلوب الذى تعاملنى به .. خاصة عند ما لاتكون (ميرفت) معنا!

قال (وجدى) وهو مستمر فى جفائه .

- الاتفاق الذى بيننا لم يحدد الأسلوب الذى يتعين على أن أعاملك به .. قال (رامى) وقد تملكه الغضب :

- لكنه تضمن تعيينى فى وظيفة مرموقة .. أليس كذلك ؟

- وهاأنذا فى سبيلى لتعيينك فى هذه الوظيفة .

- إننى أعنى وظيفة حقيقية وفعلية .. وليست وظيفة صورية .

ـ وما الذى يعنيك إذا كانت حقيقية أم صورية ، مادمت ستحصل على راتب كبير من وراء التعيين فى هذه الوظيفة ؟

ـ إننى لن أقبل راتبًا بدون عمل حقيقيى .

قال (وجدى) ساخرًا :

ـ عجبًا لقد كنت تقول منذ قليل إنك لاترغب فى هذه الوظيفة ولاتعنيك فى شىء .

ـ نعم كنت أقول هذا .. لكننى غيرت رأيى .

ـ بهذه السرعة ؟

ـ إن طريقتك المستفزة هى التى دفعتنى لذلك .

ـ ستكون لك الوظيفة .. لكنك لن تعمل شيئًا .

قال (رامى) بإصرار :

ـ بل .. العمل .. والوظيفة .. إننى لن أعتمد على المصروف الذى تقدمه لى .. أريد أن أشعر بأننى أقوم بعمل حقيقى .. وأتقاضى عليه مقابلاً .

ـ هل ستفرض على ذلك ؟

قال (رامى) بتحدٍ :

ـ نعم .

ـ وإذا رفضت ؟

ـ سأعتبر الاتفاق الذى بيننا ملغيًّا .

قال (وجدى) بغضب .

ـ هل تهددنى ؟

ـ اعتبره طلبًا .. تحذيرًا .. تهديدًا .. اعتبره كما تشاء .. لكنى مصر على الحصول على الوظيفة .

أظن أن من حق الرجل الدنىء الذى استأجرته ، أن يطلب لنفسه بعض المزايا .. أليس كذلك ؟

* * *

١٢ـ أحببت الحياة ..

سألته (ميرفت) وهو يرتدى ثيابه قائلة :

ـ هل أنت سعيد بالوظيفة التى حصلت عليها ؟

استدار نحوها وهو يبتسم قائلاً :

ـ نعم .. أخيرًا بدأت أشعر أن لى كيانًا حقيقيًا ، وعملاً يستحق أن أفخر به .

ـ إن أبى يثنى على عملك كثيرًا .

اقترب منها ليمسك بساعديها فى حنان قائلاً :

ـ إننى أدين لوالدك بالكثير من الفضل .. فلولاه لما أصبح لى مسكن أنيق كهذا .. ووظيفة مرموقة .. وسيارة أحدث موديل .

قالت (ميرفت) محتجة :

ـ إنك تتحدث وكأنك تقلل من شأن نفسك .. يجب أن تعرف أنك تستحق كل هذا .

نظر إليها بحمق قائلاً :

ـ هل ترين ذلك حقًا يا حبيبتى ؟

ـ (رامى) .. إنك تستحق ما هو أكثر من ذلك .

ابتسم لها قائلاً :

ـ لا أظن أننى أريد شيئًا أكثر مما أنا فيه .. يكفى أننى تزوجتك .. ولو لم يكن لدى شىء أكثر مما أصبحت أحوزه بالفعل ، فإنه يكفينى أن تكون لى زوجة مثلك .. فهذا أعظم ما تحقق لى .

بدت عيناها وكأنما تحاولان احتواءه وهى تنظر إليه قائلة :

ـ هل تحبنى إلى هذا الحد يا (رامى) ؟

ضمها إلى صدره فى حنان قائلاً :

ـ إننى أحبك بأكثر مما تتخيلين يا (ميرفت) .

قالت وقد استكانت فى حضنه الدافئ :

ـ أنا أيضًا أحبك بكل ذرة فى كيانى .

وعادت لتنظر إليه ، وهى مستكينة بين ذراعيه قائلة :

- أنت بالنسبة لى حلم طالما تمنيت أن يتحقق .. فأنا لم أعرف الحب إلا معك .. وعندما عرفته كان أكبر مما تخيلته عن هذا الشعور الرائع .

صمت (رامى) وقد أطرق برأسه إلى الأرض .

فقد حركت لديه هذه الكلمات أحاسيس مختلفة ، وهزت شيئًا فى ضميره كان يريد له أن يغفو .

لقد حركت لديه إحساسًا بالذنب تجاهها .. وإحساسًا بالحزن على المصير الذى ينتظرها .

لم يكن يظن أنها تحمل له كل هذا الحب .. وأن مشاعرها تجاهه بهذه القوة .

بينما حبه لها زائف ومصطنع .. ومشاعره الحقيقية تجاهها حيادية .. إنه عاجز عن مبادلتها هذه المشاعر العميقة .. بنفس الصدق الذى تظهرها به .

إنه لايملك تجاهها سوى الإحساس بالشفقة والأسى .

وحتى هذا الإحساس لايمكن أن يدعىَ صِدقه .. لأن الإحساس الحقيقى بآلام الآخرين لايختلط بمنافع مادية .. وأغراض نفعية .. كتلك التى سعى إليها من وراء هذا الزواج .

نظرت إليه فى تساؤل قائلة :

- (رامى) .. إلى أين شردت بأفكارك ؟

انتزع نفسه من شروده قائلاً :

- هه ؟ لقد كنت أفكر فى أننى لم أستطع أن أقدم لك شيئًا فى مقابل كل ما قدمته لى .

- لقد قدمت لى أغلى ما تمنيته .. قدمت لى حبك .. وهذا يساوى الكثير لدى .

ابتسم قائلاً :

- هل تسمحين لى أن أقدم لك شيئًا آخر ؟

واتجه إلى الدولاب الموجود فى الحجرة ، ليتناول

منه علبة من القطيفة تحتوى على الخاتم والعقد اللذين قدمهما شَبكَة لخطيبته السابقة .. ليقدمهما لها قائلاً :

- لقد أحضرت لك هذا .

نظرت (ميرفت) إلى العلبة قائلة :

- ما هذا ؟

- افتحيها بنفسك لترى .

اكتسى وجهها بملامح البهجة وهى تحدق فى الخاتم والعقد وهتفت قائلة :

- هل هذا لى ؟

- إنها هدية متواضعة لزوجتى الحبيبة .

- ولكن ما هى المناسبة ؟

تناول العقد الذهبى ليلفه حول صدرها قائلاً :

- وهل يحتاج الزوج إلى مناسبة ليقدم هدية لزوجته التى يحبها ؟

قبلته بامتنان قائلة :

- يا حبيبى يا (رامى) .. ولكن لابد أن هذا قد كلفك الكثير .

ابتسم وهو يساعدها على وضع الخاتم فى أصبعها قائلاً :

- لا شىء يكثر على حبيبتى .

وقبل يدها بحرارة ، فى حين تناولت هى يده بين يديها وقد أغمضت عينيها قائلة :

- ما الذى أريده من الدنيا أكثر من ذلك ؟ زوج محب وأب حنون ؟ لقد أصبحت أكثر تعلقًا بالحياة .

نظر إليها فى أسى قائلاً لنفسه :

- لو تعلمين أن الحياة التى أصبحت تحبينها لن تستمر بك طويلاً !!

قالت وهى تحتضن ذراعه بين ذراعيها :

- أعتقد أنه مازال هناك شىء لم أمنحه لك بعد .. وأظن أنك بحاجة ماسة إليه .

- وما هو ؟

- طفل صغير !

نظر إليها باستغراب قائلاً :

- طفل ؟!

- نعم .. طفلنا .

نظر إليها فى دهشة وقد بدا الأمر مفاجئًا لـه .. فهو لم يضعه فى اعتباره مطلقًا .

قال لها مرتبكًا :

- ألا ترين أنك تتعجلين هذا الأمر قليلاً ؟

- لماذا ؟ لقـد مـر على زواجنـا ثلاثـة أشـهر .. أعتقد أن هذه فترة كافية لكى نبدأ فى التفكير فى الإنجاب .

أمسك مرفقيها قائلاً بود :

- ما زال العمر أمامنا ممتدًا .. فلم العجلة ؟ إننا نتمتـع بحياتنـا الآن .. ومـن حقنـا أن نتمتـع بهـا بضعة أشهر أخرى .

إن إنجـاب طفل لن يقلـل مـن استمتاعنا بحياتنا .. بل سيجعلها أكثر إمتاعًا .

- بل سيعوق حريتنا ، ويفـرض علينا الالتزامـات التى نحن فى غنى عنها الآن .

قالت (ميرفت) وهى مصرة على الأمر :

- لاشىء سيعوق حريتنا .. ولا أظن أن بعض الالتزامات تجاه الطفل الذى سننجبه يمكن أن تشـكل عبئًا ثقيلاً .

قال لها متبرمًا :

- لكنى لا أريد طفلاً الآن .

سألته بدهشة قائلة :

- لماذا ؟

قال لها بضيق :

- لأننى غير مستعد لذلك فى المرحلة الحالية .

- لكنى متشوقة لأن يكون لى طفلٌ منك .

قال لها منفعلاً :

ـ قلت لك إننى غير مستعد لذلك .. ولا أرغب فى إنجاب طفل الآن . إن هذا الأمر يمكن أن ينتظر لبضعة أشهر أخرى .. فلا داعى لهذا الإلحاح .

قالت له بحزن :

ـ حسن .. ما دامت هذه هى رغبتك .

اقترب منها قائلاً بصوت أقل انفعالاً وأكثر توددًا :

ـ إننى لا أقل عنك رغبة فى إنجاب طفل .. لكنى أرى أنه يمكننا الانتظار لبعض الوقت .. على الأقل حتى تتحسن حالتك الصحية وتتماثلى للشفاء .

ـ إن مرضى لا يحول دون الإنجاب .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ لقد سألت الطبيب .

ـ لكن سيؤثر على رعايتك له ـ بلا شك ـ الرعاية الواجبة .. أليس كذلك ؟

ـ إن حالتى الصحية قد أصبحت مستقرة الآن .. وعدا نوبات الصداع التى تنتابنى على فترات متباعدة .. فإنه لاشىء يعوق رعايتى لطفل .

ـ والعلاج الكيميائى الذى تضطرين إليه مرة كل شهر ؟ إنه يسبب لك الألم .. ويجعلك مجهدة لمدة يومين على الأقل .

ـ إن مرة كل شهر لا تعنى ....

قاطعها قائلاً :

ـ (ميرفت) .. لماذا لانؤجل المناقشة فى هذا الأمر ؟ فلدى موعد مهم يتعين علىّ أن أذهب إليه .

ـ كما تريد .

عاد (رامى) ليستكمل ارتداء ثيابه .

بينما قامت (ميرفت) لتساعده على لبس سترة البذلة وهى تسأله قائلة :

ـ إلى أين تذهب هذه الليلة ؟

أجابها قائلاً :

- إننى مرتبط بعشاء عمل مع أحد رجال الأعمال ، الذين يتعاملون مع الشركة .

- هل سيكون أبى موجودًا هناك ؟

- كلا .. إن أباك سيسافر إلى الخارج بعد ساعتين .. هل نسيت ذلك ؟

- آه .. لقد نسيت أنه يستعد للسفر بالفعل .

- إننى سأنوب عنه فى الاتفاق على بعض الأمور المتعلقة بالشركة .

- ألا يمكننى أن آتى معك ؟

التفت إليها قائلاً :

- كان بودى أن تأتى معى .. لكنه عشاء عمل للرجال وليس فيه مجال للسيدات .

- يمكننى أن أنتظرك فى أى مكان آخر ريثما تنتهى من عشاء العمل هذا .

- فى الحقيقة .. أنا لا أدرى كم من الوقت سيستغرق اتفاقى مع الرجل .. أنت تعرفين أن مثل هذه الأمور لايمكن تحديدها بدقة .

- سأشعر بالوحدة والفراغ فى غيابك وغياب أبى عن المنزل .

- حاولى أن تشغلى نفسك بأى شىء .. ريثما أعود . وبالنسبة لى فسوف أعود إلى المنزل بمجرد انتهائى من الاتفاق مع الرجل .

- أرجو ألا تتأخر علىّ كثيرًا يا (رامى) .

ابتسم وهو يربت على وجنتها قائلاً :

- أطمئنى ياحبيبتى .. سأعود بأسرع ما أستطيع .

* * *



١٢ ـ صراع مع الألم ..

انتاب (ميرفت) إحساس مبهم بالضيق والملل بعد انصراف زوجها وسفر أبيها .. فأخذت تجول فى أرجاء المنزل وفى الحديقة بلا هدف .

ثم جلست أمام شاشة التليفزيون لمتابعة برامجه ، دون تركيز حقيقى ، وما لبثت أن حضرت مديرة المنزل لتسألها عما إذا كانت قد تناولت الدواء فأخبرتها بأنها قد تناولته .

وسألتها عما إذا كانت تحتاج إليها فى شىء قبل أن تنصرف ، فأجابتها :

ـ كلا .. تفضلى أنت .

وعادت لتتابع برامج التليفزيون وملامح السأم على وجهها ، حيث حضرت الخادم لتسألها :

ـ هل أعد لك العشاء يا هانم ؟

ـ كلا .. لا أشعر برغبة فى تناول طعام الآن .. اذهبى أنت لتنامى .. وسوف أعد عشائى بنفسى إذا ما شعرت برغبة فى الأكل .

ـ أمرك يا هانم .

ظلت (ميرفت) جالسة أمام التليفزيون لبعض الوقت ، بعد انصراف الخادمة إلى حجرتها بالقرب من مدخل الفيلا .

ثم نهضت لتغلقه وعادت لحجرتها ، حيث تناولت إحدى الروايات لتقرأها .. وهى ممددة فوق الفراش .

وفجأة هاجمها ذلك الصداع فألقت بالرواية ، وهى تشعر بآلام شديدة فى رأسها .

وضعت يدها على رأسها وهى تحاول مقاومة الألم دون جدوى .

فقد أخذ يزداد تدريجيًا ، حتى وجدت نفسها تصرخ من شدته .

ولم تدر (ميرفت) ما هى الوسيلة التى يمكنها أن تلجأ إليها للتغلب على هذا العذاب .. خاصة مع عدم وجود أحد معها فى المنزل .

وما لبث أن هداها تفكيرها للاتصال بالدكتور (صلاح) .

فاندفعت نحو الهاتف ، وأسرعت تدير القرص ، وهى تناضل الألم .. وسمعت صوت الممرضة وهى ترد عليها .. فسألتها :

- من فضلك .. الدكتور (صلاح) موجود ؟

اجابتها الممرضة :

- لا يافندم .. الدكتور (صلاح) عاد إلى منزله منذ قليل .

قالت (ميرفت) وهى تلهث :

- أرجوك .. أعطنى رقم الهاتف فى المنزل .

قالت لها الممرضة .

- حاضر .. لحظة واحدة .

لكن (ميرفت) أحست بنوبة الإغماء تهاجمها ، وأنها فى طريقها للغياب عن الوعى .. فقالت للممرضة بصوت يغلب عليه الإعياء الشديد :

- من فضلك .. اتصلى به أنت .. فأنا لن أتمكن من ذلك .. قولى له أن .. يذهب إلى منزل (وجدى الغرباوى) .. وأن الصداع قد عاد لمهاجمة ابنته مرة أخرى .. وبضراوة شديدة .

وما إن أنهت عبارتها الأخيرة ،حتى سقطت سماعة الهاتف من يدها ، وأحست بدوار شديد هوت على إثره أرضًا وقد غابت عن الوعى .

وبرغم الخطر الذى يمثله غيابها عن الوعى بهذه الطريقة ، إلا أنه رحمها من قسوة الآلام التى أحستها من جراء هذا الصداع الرهيب .

وبعد ساعة تقريبًا وصلت سيارة الدكتور (صلاح) إلى الفيلا . حيث أسرع الخفير لاستقباله بعد أن استمر فى إطلاق نفير السيارة بإصرار حتى أيقظه من النوم .

نظر الخفير من نافذة السيارة قائلاً :

ـ من ؟

ـ أنا الدكتور (صلاح) .. أسرع بفتح البوابة .

ـ هل هناك شىء يا دكتور (صلاح) ؟

قال له الدكتور (صلاح) بعصبية :

ـ افتح البوابة أولاً .. فـ (ميرفت) فى خطر .

نظر إليه الخفير بانزعاج ، وقد جاءت فى إثره الخادم قائلاً :

ـ (ميرفت هانم) .. استر يا رب !

اندفع (صلاح) إلى داخل الفيلا حيث قادته الخادم إلى حجـرة (ميرفت) ، وقد اعتراها الهلع لـدى رؤيتها لها وهى راقدة على الأرض ، وقد تضـرج وجهها بالاحمرار الشديد ، بينما كانت غائبة عن الوعى تمامًا .. وأسرع الدكتور (صلاح) إليها لإجراء الإسعافات اللازمة .

* * *

وفى أثناء ذلك كان (رامى) يتناول عشاءه مع عميل الشركة ، فى المطعم الخاص بأحد الفنادق الكبرى بالقاهرة .

وأخذا يتبادلان الحديث فى أمور العمل فى أثناء تناول العشاء ، عند ما توقف فجأة عن الحديث وتناول الطعام وهو يرمق تلك السيدة التى دخلت إلى المطعم .

هتف فى نفسه قائلاً :

ـ (نهلة) !

لم يصدق عينيه .. وقد اهتزت مشاعره بعنف لدى رؤيته لها .. فجذبت انتباهه وشردت أفكاره .

ولاحظ محدثه ما طرأ عليه من تغيير .. فسأله :

ـ هل هناك شىء يا (رامى بك) ؟

قال له وهو ما زال يرمقها بنظراته :

ـ هه ؟ كلا .. لقد رأيت شخصًا أعرفه الآن .

قال له الرجل :

ـ يمكنك أن تدعوه إلى مائدتنا لو أردت .. فقد فرغنا تقريبًا من مناقشة أمور العمل .

ـ كلا .. لا أظن أنه سيرحب بذلك .

وعاد ليتناول طعامه .. لكنه توقف عن ذلك .. قائلاً لضيفه :

ـ هل تسمح لى ؟

قال له الضيف :

ـ تفضل .

غادر (رامى) المائدة وهو يهم بالذهاب إليها والتحدث معها .. لكنه توقف فى منتصف الطريق ، وقد قرر التراجع عن ذلك .

فاستدار عائدًا إلى المائدة وهو يحاول التغلب على مشاعره المضطربة ، لكنها لمحته .. فأسرعت بمغادرة مائدتها لتلحق به وتناديه قائلة :

ـ (رامى) !

استدار إليها ، وقد ازداد اضطرابًا بعد أن أصبحا وجهًا لوجه .. وقال وكأنه يراها لأول مرة :

ـ (نهلة) !

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

قال وهو يحاول التغلب على ارتباكه :

ـ لقد جئت لتناول الطعام مع صديق .

وصمت برهة قبل أن يستطرد قائلاً :

ـ وأنتِ ؟

ـ إننى نزيلة هنا .. وقد جئت لتناول غدائى فى المطعم .

وسرت بينهما برهة أخرى من الصمت قبل أن تستطرد قائلة :

ـ إننى مسرورة لرؤيتك .

قال لها بصوت متلعثم :

ـ وأنا .. أيضًا .

ـ لقد عرفت أنك تزوجت ابنة (وجدى الغرباوى) رجل الأعمال المعروف .

ـ نعم .. لقد تزوجنا منذ ثلاثة أشهر .

قالت وهى تحاول أن ترسم ابتسامة غير حقيقية على وجهها .

ـ حتى تعرف أننى أتتبع أخبارك !

قال وهو يحاول أن يبدى صلابة :

ـ أشكرك على هذا الاهتمام .. وأنت هل تزوجت من الثرى الذى اخترته ؟

ـ كنت أظن أنك تتتبع أخبارى .. كما أفعل أنا .

قال لها فى جمود وهو يحاول أن ينتقم من غدرها به :

ـ أخبارك لم تعد تهمنى فى شىء .

ارتسمت ملامح الحزن على وجهها وهى تنظر إليه قائلة :

ـ هل تكرهنى إلى هذا الحد ؟

نظر إليها وقد تغلب كبرياؤه على ما عداه من أحاسيس قائلاً :

ـ لم يعد بيننا ما يستدعى الحب والكراهية .

واستدار عائدًا إلى مائدته لكنها أمسكت بساعده ، وهى تتحدث إليه بلهجة أقرب إلى التوسل قائلة :

ـ (رامى) .. أرجوك انتظر .. إننى أرغب فى التحدث معك .

قال دون أن يتخلى عن جفائه :

ـ إن الصديق الذى دعوته ينتظرنى .

ـ إننى سأقضى ثلاثة أيام أخرى فى هذا الفندق .. ورقم حجرتى هو (٣٥) .. أتمنى لو تتصل بى هاتفيًا أو تحضر لمقابلتى .

ـ لماذا ؟

ـ لقد قلت إننى أريد التحدث معك .

قال لها وهو يهز كتفيه :

ـ سأرى .

وعاد إلى ضيفه الذى كان ينظر إليه من آن لآخر وهو يتحدث إلى (نهلة) قائلاً :

ـ معذرة .

قال له الرجل مداعبًا .

ـ هل هذه هى الشخص الذى رأيته ؟ أهنئك على ذوقك !

نظر إليه (رامى) فى تجهم قائلاً :

ـ ماذا تقصد ؟

قال الرجل سريعًا وقد أحس بالحرج :

ـ لا .. لاشىء .. دعنا نعد إلى موضوعنا .

ظلت صورة (نهلة) تتراقص أمام عينيه وهو عائد بسيارته إلى الفيلا ، لقد بدت جميلة وفى أبهى صورتها كما اعتاد أن يراها دائمًا .

وقد أيقظت بظهورها كل المشاعر القديمة التى ظن أنه قد استطاع أن يئدها ، ويلقى بها وراء ظهره .

لكن يبدو أنه كان واهمًا .. فقد استيقظت

مشاعر الماضى وتحركت فى نفسه أحاسيس اعتقد أنها لم يعد لها وجود فى حياته .

لكن .. لا .. عليه أن ينسى أنه قد رآها .. أو تحدث إليها .

إنه سعيد بحياته الحالية ، فلاداعى للتفكير فى الماضى وذكرياته ، ولاداعى لأن ينكأ جراحًا قديمة .

لكنه عاد ليقول متسائلاً :

ـ ترى .. ما الذى كانت تريد أن تقوله لى ؟ ولماذا طلبت منى أن أقابلها ؟

ربما كان هناك ما تريد أن تخبرنى به .. أو أن هناك شيئًا ذا أهمية يتعين علىّ أن أسمعه منها .

هز رأسه بشدة ، وكأنه يحاول أن ينفض عنها هذه الأفكار قائلاً :

ـ لا تدع مشاعرك تستدرجك يا (رامى) .. يجب ألا تفكر فيها أو فيما قالته .

إنها صفحة من الماضى انتزعتها من كتابك .. فلا داعى لأن تعود إليها مرة أخرى .

ثم لا تنس اتفاقك مع (وجدى الغرباوى) .. فهو لو علم بشىء من ذلك لن يتردد فى .....

وتوقف عن متابعة التفكير فى هذا الاتجاه وقد أصابته حالة من البلبلة .. تصارعت فيها مشاعره مع عقله .. وكرامته مع حبه القديم .. قبل أن تغلبه عاطفته ليقول لنفسه :

ـ وما الذى يستدعى كل هذا الخوف والحذر ؟ لقد طلبت أن نلتقى ونتحدث .. وهذا لا يعنى شيئًا .

لماذا لا أقابلها وأستمع إليها ؟

ولم يدرك أن حنينه إليها ، ورغبته الحقيقية فى أن يلتقى بها مرة أخرى ، هى التى جعلته يسوق لنفسه هذه المبررات الواهية .

وعندما عاد إلى المنزل كانت صورتها ما زالت تتراقص أمام عينيه ، قبل أن يتبين أن هناك شيئًا غير عادى يدور فى المنزل .

فقد دخل ليجد الخفير واقفًا أمام مدخل الفيلا ، وهو فى حالة من الاضطراب والقلق .. حيث اندفع نحوه قائلاً :

ـ (رامى بك) .. الحمد للّه على أنك جئت .. إن الهانم فى حالة صحية سيئة للغاية .

اندفع (رامى) إلى داخل الفيلا حيث وجد الخادمة تبكى .. وهى واقفة أمام باب غرفة النوم .

فاقتحم الغرفة ليجد الدكتور (صلاح) جالسًا بجوار (ميرفت) وهو يقيس لها النبض ، وقد ارتسمت ملامح التوتر على وجهه .

حدَّق (رامى) فى المشهد الذى يراه قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟

التفت إليه (صلاح) قائلاً :

ـ إن حالتها الصحية متدهورة للغاية .. ولا بد من نقلها إلى المستشفى فى الحال .

قال (رامى) وهو ينظر إليها بانزعاج شديد :

ـ إذا كان الأمر كذلك فلننقلها إلى المستشفى .

ـ هذا ما قررته بالفعل .. لقد اتصلت بالإسعاف منذ نصف ساعة لكنهم لم يحضروا حتى الآن .

ـ يمكننى أن أنقلها بوساطة سيارتى دون انتظار سيارة الإسعاف .

ـ مع الأسف ، إن حالتها تستدعى وجود رعاية طبية دائمة .. وسيارة الإسعاف تتوافر فيها الإمكانيات اللازمة لذلك .. وإلا لقمت بنقلها بسيارتى الخاصة ..

جلس (رامى) بجوارها يمسك بيدها الأخرى ، وقد انتابته مشاعر شتى ، وأحس بانقباض شديد فى حين تقاطرت حبات العرق على جبينه .

وما لبث أن سمع صوت النفير المميز لسيارة الإسعاف وهى تقترب ، حيث تعاون مع الطبيب على نقلها إلى السيارة التى راحت تسابق الريح صوب المستشفى ..

وظل (رامى) يتطلع إلى زوجته ، وهو يدعو الله أن يساعدها على تجاوز هذه المحنة وألا تكون تلك هى النهاية .

* * *

١٤ ـ لقاء مع الماضى ..

أسرع (رامى) إلى الطبيبين ليسألهما فى لهفة عن حالة زوجته .

طمأنه الدكتور (منير) قائلاً :

ـ الحمد لله .. تجاوزنا الأزمة .

ـ هل يمكننى أن أراها الآن ؟

ـ نعم .. لقد استردت وعيها وأصبحت حالتها تسمح بذلك .

وقال د. (صلاح) :

ـ ويمكنك أن تصحبها إلى المنزل أيضًا .

ـ أشكركما .. أشكركما كثيرًا .

ـ لكن ينبغى أن تراقب انتظامها فى تناول الدواء حتى لا يتكرر ما حدث .

ـ هل يعنى هذا أن تلك النوبة المرضية .. كانت بسبب عدم تناولها للدواء فى موعده المحدد ؟

ـ بالطبع .. اعتقد أنها قد بدأت تهمل فى هذا الشأن .

اصطحبها (رامى) إلى المنزل ، حيث قادها إلى حجرتها لتستريح قائلاً :

ـ حمدًا للّه على سلامتك .

ألقت برأسها على كتفه قائلاً :

ـ شكرًا لك يا حبيبى .. وآسفة إذا كنت قد سببت لك شيئًا من القلق والإزعاج .

ـ لا تقولى هذا .. لكنى غاضب منك بالفعل .

ـ لماذا ؟

ـ لماذا لم تتناولى الدواء فى موعده ؟

قالت بضيق :

ـ لقد مللت هذا الدواء .. ثم .. ثم إنه يسلمنى للنوم ساعات طويلة .. وقد أخبرتنى بأنك ستنتهى

من موعدك وتأتى إلى المنزل لنقضى بقية الليلة معًا .. فلم أرغب فى أن تأتى وتجدنى نائمة .

ـ إن صحتك أهم لدى من أى شىء آخر .

نظرت إليه بعينين تتدفقان حبًا قائلة :

ـ والساعات التى أقضيها معك أهم من أى شىء آخر .

نهض من جانبها ، وهو يدير وجهه فى اتجاه النافذة .. وقد تملكه إحساس بالضيق .

إنها تفرط فى عاطفتها نحوه .. وهذا الإفراط بالإضافة إلى مرضها يثقل على ضميره .. ويدفعه إلى الإحساس بالذنب .

إنه يريد أن ينتهى هذا الأمر دون مشاعر من هذا النوع .. ودون إحساس ثقيل بالذنب يظل يطارده بقية حياته .

أسند ذراعه إلى النافذة وهو يقول لنفسه :

ـ مشكلتك أنك ما زلت تفكر بطريقة عاطفية ..

وهى طريقة لا تتفق مع الأسلوب العملى الذى قررت أن تتخذه نهجًا لحياتك .. والذى تريد أن تحقق به نجاحك .

يجب أن تنحى ضميرك ومشاعرك جانبًا .. لكى تحقق ما تريد .. فلا تدع مثل هذه الأحاسيس تضغط على أعصابك .. وتؤثر على تصرفاتك .

وتنهد قائلاً لنفسه :

- ترى أية مشاعر تلك التى يتعين علىّ مقاومتها ؟

مشاعرى نحو (نهلة) التى ظننت أننى قد تغلبت عليها ، فعادت لتستيقظ فى نفسى من جديد فى أول لقاء يجمع بيننا ؟

أم مشاعرى تجاه إنسانة تحمل لى كل هذا القدر الكبير من الحب .. حتى إنها تعرض نفسها للخطر مقابل بضع ساعات تقضيها معى ؟

بينما لا أستطيع أن أمنحها شيئًا من هذا الحب

الكبير الذى تحمله لى وأترقب موتها حتى أتحرر من هذه العلاقة التى تربطنى بها وأذهب بالأرباح التى حققتها من وراء تمثيلى دور الزوج المدله فى حب زوجته .. ويا لها من تجارة بالمشاعر !

بدت ملامح الازدراء لنفسه واضحة على وجهه ، وهو مستغرق مع أفكاره .. قائلاً لنفسه :

- يبدو أنه ليس من السهل أن يتغلب المرء على مشاعره وضميره ، لكى يحقق أهدافه .

إننى لم أعد أستطيع أن أنظر فى المرآة دون أن أشعر بشىء من الاحتقار لنفسى .

تنبه (رامى) على ملامسة (ميرفت) لكتفه وهى تهمس له قائلة :

- فيم تفكر ؟

نظر إليها قائلاً :

- فى أننى لا أستحق منك كل هذا الحب الكبير .

- كيف تقول هذا ؟ (رامى) .. إنك تعنى بالنسبة لى كل شىء حرمت منه وتمنيته .

لقد كان لدى دائمًا كل المتطلبات المادية التى تتمناها أية فتاة .. وأب مستعد دائمًا لتلبية كل رغباتى .

ما عدا شيئًا واحدًا حرمت منه ، ولم يكن ليستطيع أبى أن يجلبه لى وهو الحب .. إنه الشىء الذى لم أعرفه إلا معك .. ولم أدرك معناه إلا عندما عرفتك .. إنه الشىء الذى تتضاءل بجانبه أية أشياء أخرى .. حتى تصبح تلك الأشياء عديمة القيمة بدون وجود تلك المشاعر فى حياتنا .

مسح بيده على شعرها قائلاً :

ـ هناك كثيرون لا يشاركونك رأيك هذا .

قالت وهى تسلم رأسها إلى راحته :

ـ إنهم مساكين حقًا .. أنهم لا يعرفون قيمة الحب الذى أحسه الآن .

قال لنفسه وهو ينظر إليها بعطف :

ـ إنك لاتعرفين أنه حتى هذا الحب قد اشتراه لك أبوك !

ابتسمت وهى تحيط عنقه بذراعيها قائلة :

ـ هأنتذا قد عدت للشرود مرة أخرى .

ـ كنت أفكر إذا ماكنت ستظلين تحبينني دائمًا على هذا النحو ؟

ـ سيظل حبى لك دائمًا أقوى من أى شىء حتى أموت .

انتفض بشدة لدى سماعه هذا ، تراجع إلى الوراء فجأة متحررًا من عناقها .

فنظرت إليه بدهشة قائلة :

ـ ماذا بك ؟

ـ لا أحب أن أسمعك ترددين هذه الكلمة .

ابتسمت قائلة :

ـ إنك تتصرف مثل أبى كلما جاءت كلمة الموت على لسانى .. هل الموت مخيف إلى هذا الحد ؟

ـ ألا تخشين الموت ؟

ـ لم أكن أخشاه من قبل لأننى لم أكن شديدة التعلق بالحياة . أما الآن فإن ما أخشاه حقًا هو أن يحرمنى الموت منك .

ولو أن زواجى منك .. والحب الذى منحته لى جعلنى لا أتمنى من الدنيا أكثر مما حصلت عليه ..

صاح (رامى) بانفعال قائلاً :

ـ كفى .. كفى !

اقتربت منه لتربت على ظهره وهى تحاول أن تهدئ من مشاعره قائلة :

ـ هل آلمك حديثى إلى هذا الحد ؟ آسفة إذا كنت قد ضايقتك .. على أية حال .. إن الأعمار بيد اللّه .. ونحن لانعرف متى يحين أجلنا .

ـ لاأريد أن أسمع منك هذا الحديث مرة أخرى .

مسحت بيدها على وجنته بحنان قائلة :

ـ حسن ياحبيبى .. لن أفعل .. لكن لاتنفعل .

* * *

بعد قليل من التردد اتصل (رامى) بـ (نهلة) هاتفيًا .. حيث ردت عليه بصوت ينم عن سعادتها لاتصاله قائلة :

ـ إننى سعيدة لاتصالك بى .

قال لها بجفاء مصطنع :

ـ ماذا تريدين منى ؟

ـ قلت لك إننى أريد التحدث إليك .

ـ حسن .. هأنذا أسمعك .

قالت له بدلال :

ـ الحديث فى الهاتف لن يجدى .. أريد أن نتقابل فى مكان ما لنتحدث معًا .

ـ هل هذا ضرورى ؟

ـ ضرورى للغاية .. على الأقل بالنسبة لى .

قال وقد أخذت مشاعره تلح عليه بالاستجابة :

ـ حسن .. حددى المكان والزمان الذى نلتقى فيه .

* * *

أحس (رامى) بأن أعصابه مشدودة فى اللحظات القليلة التى سبقت لقاءه بها .. وازداد اضطرابه حينما رآها مقبلة عليه .. لكنه لم يلبث أن بدأ يتحرر من هذا الاضطراب تدريجيًا خلال لقائه معها .

سألته قائلة :

- هل أنت سعيد فى زواجك ؟

- ولماذا تسألينني هذا السؤال ؟

ابتسمت فى دلال قائلة :

- إنه مجرد فضول .

- نعم .. إننى سعيد فى زواجى .

- لكنى أعرف أن زوجتك مريضة .

نظر إليها بغضب قائلاً :

- لا أظن أن لك شأنًا بهذا .. هل هذا هو ما أردت أن تتحدثى معى بشأنه ؟

- كلا بالطبع .

- إذن .. ما الذى أردت أن تخبرينى به .

اسندت ساعديها إلى المائدة التى تجلس إليها ، وهى تقترب منه بوجهها وعيناها مسلطتان عليه قائلة :

- (رامى) .. إننى ما زلت أحبك .

* * *



١٥ ـ الحب والضمير ..

قال لها متهكمًا :

ـ تحبينني .. هل نسيت ما قلته لى فى آخر لقاء بيننا ؟

ـ أريد أن أنسى كل ما قلته فى ذلك اليوم .

ـ أنا لم أنس أى كلمة قلتها .

ـ (رامى) .....

قاطعها قائلاً :

ـ لقد قلت إن الحب لا يصلح إلا للروايات .. وإن هناك أشياء كثيرة تأتى قبل الحب .

أشاحت بوجهها قائلة :

ـ لقد كنت مخطئة .

ـ الآن تقولين إنك كنت مخطئة .. بعد أن حصلت

عنى الأشياء الكثيرة التى كانت لها الأولوية قبل الحب لديك .

إن مظاهر الثراء تبدو واضحة عليك .. وهأنتذى تقيمين فى فندق خمسة نجوم .. على أية حال لقد كان درسًا مفيدًا تعلمته منك .

ـ دعنا لانضيع الوقت فى اللوم والعتاب .. ماحدث قد حدث .. المهم أننى مازلت أحبك .. تمامًا كما أننى واثقة أنك مازلت تحبنى .

قال لها بسخرية .

ـ واثقة ؟ يالك من مغرورة ! هل تظنين أنه يمكنك أن تتخلى فى أى وقت عمن أحبك وأن تخونى هذا الحب .. ثم تعودى لترتكبى خيانة أخرى فى حق الرجل الذى تزوجك ، وتسعى لاستعادة حبك القديم وتخبرى الحبيب الأول بأنك مازلت تحبينه ، وتنتظرى منه أن يكون متيمًا فى هواكِ ؟

ـ إننى لم أعد زوجة الآن يا (رامى) .. لقد انتهى زواجى .. وأصبحت الآن مطلقة .

نظر إليها برهة بدهشة وقد باغته ما سمعه .. ثم مالبث أن قال :

ـ آه .. الآن قد فهمت .. انتهى زواجك فعدت للبحث فى أوراقك القديمة .

ـ سامحك الله .. إننى لن ألومك على ماتقوله .. فأنا أعرف أننى أستحق ذلك وأكثر .. لكن صدقنى إن الظروف هى التى دفعتنى إلى هذه الزيجة ، التى لم يكتب لها النجاح ولم تستمر طويلاً .

تفحصها بعناية قائلاً :

ـ لكننى أرى أنك لم تخرجى منها خالية الوفاض .. فلا بد أن طليقك قد دفع لك تعويضًا مناسبًا مقابل إنهاء هذا الزواج .

ـ لقد دفع لى ثمن صمتى .

ـ صمتك على ماذا ؟

ـ لقد اكتشفت أننى لم أكن الزوجة الأولى .. وأن لديه زوجة أخرى .. وأسرة فى بلد آخر ..

وقد أخفى علىَّ الأمر .. لكنى تبينت الحقيقة كما تبينت أن زواجه منى لم يكن سوى مجرد نزوة .. سرعان ما أفاق منها الرجل .. وقد تملكه الخوف والهواجس من أن تعرف زوجته وأسرته بأمر زواجه .. فقرر أن ينتهى من هذه النزوة بالطلاق .

ـ وبالطبع ساومته على هذا الطلاق وهددته بإبلاغ الأمر لزوجته وأسرته .. واشترى صمتك بالتعويض المادى المناسب .

ـ هذا هو أقل ماكان يتعين عليه أن يدفعه مقابل خداعه وتغريره بى .

ـ لقد غررت بك أطماعك منذ البداية .

ـ لا تكثر من إلقاء اللوم علىَّ يا (رامى) .. فأنا أرى أن مافعلته لايختلف كثيرًا عما فعلته أنا !

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ لِمَ تزوجتَ من (ميرفت الغرباوى) ؟

ـ لأننى .. لأننى ....

- لاتقل لأنك تحبها .. لقد تزوجتها من أجل ثراء أبيها ، ومن أجل التغلب على الظروف القاسية التى وجدت نفسك فيها .

- حتى لو كان ما تقولينه صحيحًا .. فأنا لم أفعل ذلك إلا بعد أن تخليتِ عن حبنا .. وبعد أن تعلمت الدرس منك .

- إن الظروف هى التى فرضت علينا أن نتخلى عن هذا الحب .. فلم يكن زواجنا لينجح فى ظل هذه الظروف .

- وما المطلوب منى الآن ؟

- لقد تغيرت هذه الظروف .. وأصبحنا فى وضع أفضل يتيح لنا أن نستعيد حبنا مرة أخرى .. وأن نتوج هذا الحب بالزواج .

نظر إليها (رامى) بدهشة قائلاً :

- لكننى متزوج .

قالت (نهلة) بثقة :

- من امرأة لاتحبها !

- لكنها زوجتى .

- طلقها يا (رامى) !

ازدادت دهشته لهذه الجرأة التى تتحدث بها قائلاً :

- أطلقها ؟

- نعم .. هذا أفضل للجميع .. لى ولك ولها .

- من قال لك إن هذا هو الأفضل للجميع ؟

- إن التجربة التى مررت بها علمتنى أن الحياة تكون قاسية للغاية عندما نضطر لمعاشرة أشخاص لانحبهم .

- لكن (ميرفت) تحبنى .

- لابد أن يكون الحب متبادلاً من الطرفين .. وأنت لاتحبها .. أنت تحبنى أنا .. وأنا بحاجة إليك قدر حاجتك إلىَّ ..

قال لها وقد ارتبكت مشاعره بعدما سمعه منها :

- ليس الأمر سهلاً على هذا النحو الذى تتصورينه .

قالت وقد أسعدها أن أحست بقدر من الاستجابة من ناحيته :

- أعلم أن هناك اعتبارات كثيرة تجعلك مترددًا .. (وجدى الغرباوى) وابنته .. وظيفتك الجديدة .

لكن ظروفنا أصبحت أفضل بكثير مما كانت عليه من قبل .. وأنا أستطيع تدبير كل شىء ..

يمكننا أن نسافر إلى مكان آخر .. ويمكننى أن أدبر لك وظيفة أفضل .. أو نبدأ فى عمل مشروع صغير .. المهم أن نكون معًا .. وألا نفكر فى أى شىء آخر عدا ذلك .

صمت (رامى) وقد استغرق فى تفكير عميق .

بينما كانت (نهلة) تراقبه .. ولم تنتظر حتى تسمع إجابته بل بادرت بسؤاله قائلة :

- (رامى) .. ماذا قلت ؟

- إننى بحاجة لبعض الوقت للتفكير فى هذا الأمر .

- فكر يا (رامى) .. لكن لا تضيّع الكثير من الوقت فى التفكير ، وتذكر حبنا الكبير .. فكفانا ما أضعناه من العمر .. وابتعاد كل منا عن الآخر .. بسبب الظروف والأخطاء التى ارتكبناها .

عاد (رامى) إلى المنزل وقد تملكته الحيرة ، وتنازعته الأفكار والمشاعر مرة أخرى .

وأسلم رأسه للفراش ، وهو يفكر فى العرض الذى قدمته له (نهلة) .. هل يهرب ويلقى بكل شىء وراء ظهره سعيًا وراء حبه القديم .. ليبدأ فى مكان آخر ومع الإنسانة التى أحبها ؟

أم ينتظر حتى تنقضى الفترة التى حددها الأطباء لانقضاء أجل زوجته ؟ إن لديه رصيدًا لا بأس به الآن فى البنك .. فضلاً عن أنه يستطيع أن يبيع سيارته .

كما أن (نهلة) أصبحت تمتلك ثروة هى الأخرى .. وكل هذا يمكن أن يوفر لهما مناخًا طيبًا ليبدآ بداية جديدة فِى مكان آخر .

وألقى نظرة على زوجته التى كانت نائمة إلى جواره ، وقد أحس بغصة فى قلبه .

ترى ماذا سيكون وقع هذا التصرف على هذه المسكينة ؟ لقد كانت موافقته على تمثيل دور الزوج المحب مقابل العائد المادى الذى وعده به أبوها عملاً دنيئًا فى حد ذاته .. ولاشك أن هربه بهذه الطريقة سيكون أكثر دناءة .

غادر الفراش ليقف فى الشرفة وقد أحس أنه ممزق بين مشاعره وضميره .

ومالبث أن سمع صوتها الرقيق يأتى من خلفه قائلاً :

ـ لماذا لم تنم يا (رامى) ؟

التفت إليها قائلاً :

ـ وأنت .. ما الذى أيقظك ؟

ـ لقد شعرت بك وأنت تتقلب فى الفراش .. ثم وأنت تغادره لتأتى إلى الشرفة .. فأردت أن أطمئن عليك .

ـ اطمئنى أنا بخير .. إننى أشعر فقط ببعض الأرق .

ـ وأنا أيضًا .

ـ ألم تتناولى دواءك فى موعده ؟

ـ لقد فعلت .

ـ من المفترض أن هذا الدواء يساعدك على النوم .

تنهدت (ميرفت) قائلة :

ـ يبدو أنه قد فقد تأثيره .. فاليومان الماضيان عجزت عن النوم أكثر من ساعتين فقط طوال الليل .

نظر إليها بانزعاج قائلاً :

ـ ولماذا لم تخبرينى بذلك ؟

ـ لم أرغب فى أن أزعجك بمتاعبى .

انفعل قائلاً :

ـ ما هذا الذى تقولينه ؟ إنك تتعاملين مع مرضك باستهتار شديد .. لابد من إطلاع الطبيب على ذلك حتى يحدد لك دواءً بديلاً .

ـ لاداعى لهذا الانفعال .. سأتصل به غدًا وأستشيره فى الأمر .

قال لها وهو يتوجه إلى الهاتف :

ـ لن ننتظر إلى الغد .. سأحدثه الآن .

لكن قبل أن يتجه إلى سماعة الهاتف ، رآها وقد تقلصت ملامحها وهى تضع يدها على رأسها قائلة :

ـ ألم .. ألم شديد فى رأسى يا (رامى) .. ألم غير محتمل .. أرجوك ساعدنى !

وأحست بدوار شديد كادت أن تسقط معه على الأرض ، لولا أنه سارع بتلقفها بين يديه قبل أن تغيب عن الوعى .

★ ★ ★

١٦ ـ إشراقة الحب ..

اندفع الأب داخل أروقة المستشفى ، حيث كان (رامى) جالسًا فى انتظار مغادرة الأطباء للحجرة التى يجرى فيها العلاج الكيميائى لـ (ميرفت) .. حيث سأله بلهفة قائلاً :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد ابتدأت نوبات الصداع تهاجمها على فترات متقاربة .. أمس كانت تخبرنى بأن الدواء الذى تتناوله لم يعد يحدث التأثير المطلوب .. عندما فاجأها ذلك الصداع .. وجعلها تغيب عن الوعى .

ـ هل نقلتها إلى المستشفى على الفور ؟

ـ نعم .

ـ وهل أخبرت الدكتور (منير) بما حدث ؟

ـ إنه معها هو والدكتور (صلاح) بالداخل .. حيث يجرى لها العلاج الكيميائى .

قال الأب وهو فى أقصى حالات التوتر :

ـ ألم يخبرك أحدهما بشىء ؟

ـ نعم إنهم يفعلون أقصى ما بوسعهم هنا ..

وبعد قليل غادر الدكتور (منير) الحجرة وفى إثره الدكتور (صلاح) وبقية الفريق المعالج ، حيث اندفع نحوهم الأب والزوج فى لهفة ، وأمارات القلق على وجهيهما .

نظر إليهما الدكتور (منير) بأسف قائلاً :

ـ يبدو أن حالتها تزداد تدهورًا .. كما يبدو أن الفترة الزمنية الباقية من عمرها ستكون أقل بكثير مما حددناه من قبل .

وضحت آثار الصدمة على وجه الأب وهو يستمع إلى ذلك .

بينما أردف الطبيب .

ـ لم تعد حالتها المرضية تلقى استجابة لأى علاج حتى العلاج الكيميائى .. وهذا مؤشر على قرب النهاية .

ارتسمت ملامح الحزن والأسى على وجه (رامى) وهو يسند ظهره إلى الجدار ، بينما سأل الأب قائلاً :

ـ كم تبقى لها من العمر ؟

ـ لا أستطيع أن أحدد ذلك .

قال له الأب متوسلاً :

ـ أرجوك يا دكتور .. أخبرنى .

خفض الدكتور (منير) بصره قائلاً :

ـ ربما أقل من شهر .

كاد الأب أن يهوى على الأرض ، لولا أن أسرع إليه أحدهم لمساعدته على الجلوس ، وقد أعجزته الصدمة عن النطق .

بينما اندفع (رامى) إلى داخل الحجرة .

أما الدكتور (صلاح) فقد ظل صامتًا طول الوقت وملامح الأسى مرتسمة على وجهه .

اقترب (رامى) من فراشها حيث بدا وجهها شديد الشحوب ، وقد وضحت آثار العلاج الكيميائى على شعرها الذى ازداد نحولاً عن ذى قبل .. بينما كانت عيناها زائغتين وهما تحدقان به .

جلس بجوارها وأمسك يدها فى عطف قائلاً :

ـ سلامتك يا (ميرفت) .

قالت له بصوت واهن :

ـ أنا آسفة يا (رامى) .

نظر إليها بعينين تفيضان حنانًا حقيقيًا قائلاً :

ـ آسفة على ماذا ؟

قالت له وهى تحاول التغلب على ضعفها :

ـ لقد أثقلت عليك بمرضى .. خاصة فى الآونة الأخيرة .

قال (رامى) وهو يجاهد ليبدو صوته طبيعيًا :

ـ لاتقولى هذا .. إننى مستعد لعمل أى شىء من أجلك .. المهم أن تستردى صحتك .

قالت له دون أن تتمكن من التغلب على ضعفها :

ـ إننى أعرف كل شىء .

ـ تعرفين ماذا ؟

قالت وهى تغمض عينيها :

ـ أعرف أننى أقترب من الموت .

نظر إليها بانزعاج قائلاً :

ـ لاتقولى هذا .. لقد حذرتك .....

قاطعته بصوتها الواهن قائلة :

ـ إن تحذيرك لن يمنع القدر المحتوم .. لقد قلت لك إننى أعرف الحقيقة وأعرف أننى أدنو من الموت .

ـ كيف عرفت ؟

ـ لايهم متى .. ولاكيف عرفت .. فلن يحدث ذلك اختلافًا .. لكنى تمنيت أن تمتد بى الحياة فترة أطول معك .. بعد أن أصبحت أكثر جمالاًوإشراقًا منذ أن تزوجنا . لكن يبدو أن نصيبى منها قد أصبح قليلاً .

سامحنى يا (رامى) .. لقد أدركت فيما بعد سبب رفضك للإنجاب .. فقد تعلم أنت أيضًا الحقيقة ، كما يعلمها أبى .. لكن أحدكما لم يـرض أن يواجهنـى بها من فرط قسوتها .

أغرورقت عيناه بالعبرات وهو يضم رأسها إلى صدره قائلاً :

ـ لا تقولى هذا ياحبيبتى .. إنك ستشفين وسيكون لك أطفال ، وتعيشين زمنًا طويلاً لتربيتهم .

ولأول مرة أحس بصدق مشاعره تجاهها وهـو يناديها بكلمة حبيبتى .

ولأول مـرة يراهـا فـى صورة جديـدة لـم يرهـا عليها من قبل .

يراها الزوجة والحبيبة التى لم يتح لقلبه ومشاعره الفرصة لكى يعلم بقيمتها الحقيقية فى حياته .

إنه يحبها .. ولايريد أن يفقدها .. حتى لو فقد كل شىء آخر .

لقد تضاءلت كل الأشياء فى هذه اللحظة .. ولم يعد يغنيه سوى أن يمتد بها العمر .. وتعيش معه سنين طويلة أخرى .. حتى لو اضطر أن يتنـازل لها عن هذه السنين من عمره هو .

لكن مع الأسف .. لقد أدرك هذه الحقيقة متـأخرًا .. أدركها وهى تقترب بأقصى سرعة من الموت .

ولم يعد يدرى هل كان من الأفضل له أن يعرف هذه المشاعر الآن وقبل أيام من رحيلها ؟ أم تظل مشاعره على جمودها حتى لايحس الألم الذى يحســه الآن .. وهو فى سبيله لفقد الإنسانة الوحيدة التى عرف معها الحب الحقيقى .

مسحت بأصابعهـا المرتعشـة عـبرة تسـاقطت على وجنته قائلة :

ـ أرجوك يا (رامـى) .. لاتبك .. إننـى لا أحب أن أرى دموعك .

قال لها بصوت متهدج :

- (ميرفت) .. إننى أحبك .. أحبك بأكثر مما تتخيلين وبأكثر مما تخيلت أنا أيضًا .

- أعرف ذلك .

- كلا .. إنس كل ما قلته من قبل .. وتأكدى أن ما أقوله نابع من قلبى فى هذه اللحظة .

- إذن يمكننى أن أموت بسلام بعد أن حصلت على كل ما تمنيته .

وفى تلك اللحظة دخل الدكتور (صلاح) ليرى هذا المشهد المؤثر حيث اقترب منهما قائلاً :

- لقد مررت بحالات مرضية كثيرة من خلال مهنتى .. لكنى لا أستطيع أن أخفى عليكما أن هذه الحالة هى أكثر الحالات التى تأثرت بها .. والتى لم أستطع أن أحيد فيها مشاعرى كطبيب .. بل وجدت نفسى أتفاعل معها إنسانيًا .

قالت له بصوتها الواهن :

- أشكرك يا دكتور (صلاح) .. لقد قمت بواجبك على الوجه الأكمل وبذلت كل الجهد لمساعدتى .

- وبرغم ذلك .. أعتقد أننى أستطيع أن أقوم بعمل آخر للتغلب على ذلك الورم .. برغم أنه ينطوى على قدر كبير من المجازفة .

هب (رامى) مندفعًا نحوه وهو يسأله قائلاً :

- حقًا يا دكتور (صلاح) ؟ وما هو ؟

- من الممكن أن أقوم بإجراء جراحة دقيقة لانتزاع هذا الورم من مكانه ، واقتلاعه من جذوره نهائيًا .

وفى تلك اللحظة دخل الدكتور (منير) إلى الحجرة حيث استمع إلى ما قاله زميله ، فقال معترضًا :

- كلا يا دكتور (صلاح) .. لقد تحدثنا فى هذا الأمر من قبل وقررنا استحالة التدخل الجراحى .

- إننى مستعد لأن آخذ هذا الأمر على عاتقى .

- إنك تعجل بموتها .

سأله (رامى) قائلاً :

- ما هى نسبة النجاح فى حالة إجراء هذه العملية ؟

- لاتتجاوز خمسة فى المائة .

قال (رامى) معترضًا :

- إذن فأنا لن أوافق .

لكن (ميرفت) أشارت لهما لكى يتنبها إلى صوتها الضعيف قائلة :

- لكنى أريد إجراء هذه العملية .

- ألم تسمعى ما قاله ؟ إن نسبة نجاحها ضئيلة للغاية .. وهذا يعنى أنك قد تفقدين حياتك فى أثناء إجراء هذه العملية .

- وما الفرق أن أموت الآن .. أو بعد ساعة .. أو بعد شهر .. أو حتى بعد خمس سنوات ؟

إن إنتظار الموت شىء قاس للغاية .. ومن الأفضل التعجيل بمواجهته .. بدلاً من ترقبه .. إننى أعرف أننا كلنا سنموت يومًا ما . وأن الآجال بيد اللّه (عز وجل) .. لكن من المؤلم أن نعلم بميعاد الموت ونترقبه .

لذا فمن رحمة اللّه بالبشر أن أخفى عنهم نهاية آجالهم .. إننى لا أريد أن أترقب الموت يا (رامى) .. سيكون شيئًا مؤلمًا للغاية .. أريد مواجهة حاسمة بينى وبينه فإما أن أهزمه أو يهزمنى .

وفى تلك اللحظة دخل الأب إلى الحجرة ، وقد استمع إلى ما قالته ابنته .. فاندفع نحوها قائلاً :

- لا يا بنيتى .. إذا كان مقدرًا لك أن تعيشى شهرًا أو حتى بضعة أيام أخرى .. فلا تتعجلى الفراق .. دعينا ننعم بصحبتك ما تبقى لك من العمر .

انحدرت عبرات على وجنتيها قائلة :

- أى صحبة تلك التى ستنعم بها يا أبى .. انظر إلىّ .. انظر إلى وجهى الشاحب شعرى الذى يتساقط .. وجسدى الذى يتعذب بذلك العلاج المؤلم ..

انظـر إلى الوهن الـذى أعانيه منذ فترة طويلة .. ويومى الـذى يضيع وأنا راقدة فى الفراش أعانى الإعياء والضعف .

إنها حياة لاقيمة لها وصحبة أليمة .

تحدث الدكتور (صلاح) إلى (رامى) قائلاً :

ـ لابد من موافقتك على العمليـة أنت وأبيها قبل إجرائها .

قالت (ميرفت) متوسلة :

ـ أرجوك يا (رامى) .. أرجوك يا أبى .. قولا لـه إنكما موافقان .

قال الأب معترضًا :

ـ لا .. لا أستطيع الموافقة على شـىء كهذا .. لا أستطيع أن أكون السبب فى التعجيل بموتك .

قال له (رامى) بعد برهة من الصمت :

ـ أنا موافق !

قال الدكتور (صلاح) :

ـ تكفينى موافقتك .

قال الدكتور (منير) لزميله :

ـ إننى لن أستطيع أن أشاركك هذه العمليـة .. فأنا أعرف جيدًا أن نسبة نجاحها أقل من النسبة التى حددتهـا .. إنـك تعجـل بموتهـا يـا دكتـور (صلاح) .

نظر الدكتور (صلاح) إلى (ميرفت) قائلاً :

ـ سآخذ الأمر على عاتقى .

ثم تحدث إلى (رامى) قائلاً :

ـ سنضطر لاحتجازها فى المستشفى ، وإجـراء بعض الفحوصات والترتيبات المطلوبة خلال اليومين القادمين قبل إجراء العملية .

قال له (رامى) باستسلام :

ـ افعل ما تراه يا دكتور .

التفت الأب إلى (رامى) وانتحى به جانبًا بعد انصراف الطبيبين قائلاً :

- لو ماتت ابنتى فسوف أحملك مسئولية التعجيل بموتها .

قال له (رامى) بعينين مغرورقتين بالعبرات :

- عندما نعود إلى المنزل سأكتب لك تنازلاً عن كل شىء .. عن السيارة وعن الرصيد الذى أودعته باسمى فى البنك وعن كل شىء اتفقنا عليه من قبل .. وسأكتب لك استقالتى من عملى أيضًا ، فلم أعد أريد شيئًا من الدنيا سوى أن تنجو زوجتى من الموت .

إن كل شىء يهون بالنسبة لى إلا أن أراها تتعذب أمام عينى ، ما بين هذا العلاج القاسى الذى تضطر إليه .. وهذا الترقب للموت الذى يقترب منها تدريجيًا .

ولهذا امتثلت لإرادتها ووافقت على إجراء العملية .. لأننى أحبها بأكثر مما كنت أظن أو أتصور .. ولم يعد لدى أحد منا الآن شىء يفعله سوى أن نصلى لأجلها .

* * *

استعد (رامى) لمغادرة المنزل ، والتوجه إلى المستشفى ، وقد حاول أن يبدو متماسكًا برغم أنه لم ينم طوال الليل .. ونم مظهره عن أنه فى حالة يرثى لها .

فاليوم ستجرى العملية لـ (ميرفت) .. واليوم سيتحدد مصيرها بصفة نهائية .

لقد مر بفترات صعبة وقاسية فى حياته .. لكنه لم يعرف ما هو أقسى وأصعب من هذا الذى يستعد لمواجهته اليوم .

وقبل أن يفتح باب المنزل تضرع إلى اللّه بعينين دامعتين قائلاً :

- يا ربى .. إذا كنت قد أذنبت فعاقبنى كيفما تشاء .. لكن لا تحرمنى منها .. امنحها الحياة لأجلى .. فقد أصبحت هى الحياة بالنسبة لى .

وفى اللحظة التى استعد فيها لمغادرة المنزل ، رن جرس الهاتف حيث نادته الخادم قائلة :

- يا (رامى بك) .. مكالمة لك .

تناول منها سماعة الهاتف حيث سمع صوت (نهلة) يأتى على الطرف الآخر قائلة :

- (رامى) .. لماذا لم تتصل بى أو أسمع صوتك طوال الفترة الماضية ؟

قال (رامى) بجفاء :

- هناك ظروف حالت دون ذلك .

- لقد رتبت كل شىء بشأن سفرنا .. وأنا فى انتظار ردك .

- حسن .. اسمعى ردى .. إن ما بيننا قد انتهى .. انتهى إلى الأبد .. فأنا أحب زوجتى ومتمسك بها إلى النهاية .

- (رامى) ماذا تقول ؟

قال لها وكأنه يحدث نفسه :

- حتى لو فقدتها .. فلن يكون هناك من تحل محلها فى حياتى المقبلة .

- إننى لا أصدق ما أسمعه .. اسمعنى يا (رامى) إنك ...

لكنها لم تتمكن من إكمال عبارتها .. فقد وضع سماعة الهاتف وأسرع بمغادرة المنزل .

* * *

مرت خمس ساعات منذ أن دخلت (ميرفت) إلى حجرة العمليات .. انقضت على (رامى) وكأنها دهر كامل ..

بينما كمن الأب فى أحد أركان المستشفى وهو يتمتم بكلمات الدعاء .

وحينما لمح (رامى) وهو يبكى وقد أسند جبهته إلى الجدار .. اقترب منه ليضع يده على كتفه ليواسيه ، برغم أنه أحوج منه للمواساة قائلاً :

- لم أكن أعرف أنك تحبها كل هذا الحب .. تشجع يا بنى ، ادع الله أن ينجيها .

وفى تلك اللحظة غادر الدكتور (صلاح) حجرة العمليات .

وما إن لمحاه حتى اندفعا نحوه .. حيث تطلع (رامى) إليـه بوجه شاحب وجسد مرتجف ، وقد عجز حتى عن أن يسأله عن نتيجة العملية ..

وما لبث أن انفرجت أسارير الدكتور (صلاح) وهو ينظر إليهما قائلاً :

ـ لقد نجحت العمليـة .. ونجت (ميرفت) من الموت .. لن تكون بحاجة إلى أى علاج بعد اليوم .. وستسترد صحتها خلال فترة قصيرة .

احتضن (رامى) الأب وانهمرت دموعهما بغزارة وهما يرددان :

ـ الحمد لله .. الحمد لله .. شكرًا لله .. شكرًا لله ..

وكانت هذه هى المـرة الأولـى التـى تتحد فيها مشاعرهما على هذا النحو ، بعد أن جمـع بينهما حبهما لـ (ميرفت) وفرحتهما بنجاتها من الموت .

وكان هذا إيذانًا ببزوغ فجر جديد .

فجر تلاشت وراءه مشاعر الكراهية .. وأطماع الحياة التى تعمى القلوب .

كما تلاشت سحابة كثيفة من الحزن والكآبة .. كـانت تخيم بظلالها على (ميرفت) وعلى من حولها .

ليبزغ فجر مضىء بالحب .. والسعادة .. والأمل ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع : ٤٦٩٠

الترقيم الدولى : ٩ ـ ٥٨٥ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧

المطبعة العربية الحديثة

٨ ، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة ـ ☎ ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٦٨٣٥٥٥٤

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى
زهور

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب
أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل



ا. شريف شوقى

فجر جديد

كان ارتباطه بها مزيجًا من الحب والكراهية والقسوة والحنان .. واليأس والأمل والموت والحياة .. ترى ما الذى ستسفر عنه هذه الرابطة فى النهاية ؟ وما الذى سيأتى به فجرهما الجديد ؟

87

الثمن فى مصر ٢٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

